۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

المحصنات : جمع محصنة[1] والمراد بها هنا المتزوجة .

إلا ما ملكت أيمانكم : المملوكة بالسبي والشراء ونحوهما .

ما وراء ذلكم : أي ما عداه أي ما عدا ما حرم عليكم .

غير مسافحين : المسافح : الزاني، لأن السفاح هو الزنى .

---

(١) وسميت المتزوجة محصنة : لأن الرجل أي الزوج قد أحصنها أي حفظها باستقلاله بها عن غيره

أجورهن فريضة : مهورهن نحلة .

طولاً [1] : سعة وقدرة على المهر.

المحصنات : العفيفات .

أجورهن : مهورهن .

ولا متخذات أخدان : الخدين الخليل الذي يفجر بالمرأة سراً تحت شعار الصداقة .

فإذا أحصن : بأن أسلمن أو تزوجن إذ الإحصان يكون بهما .

العنت : العنت الضرر في الدين والبدن .

معنى الآيتين :

مازال السياق في بيان ما يحرم من النكاح ومايجوز ففي الآية الأولى (٢٤) عطف تعالى على المحرمات في المصاهرة المرأة المتزوجة فقال ﴿والمحصنات﴾ أي ذوات الأزواج فلا يحل نكاحهن إلا بعد مفارقة الزوج بطلاق أو وفاة ، وبعد انقضاء العدة أيضاً واستثنىٰ تعالى من المتزوجات المملوكة باليمين وهي المرأة تسبى في الحرب الشرعية وهي الجهاد في سبيل الله فهذه من الجائز أن يكون زوجها لم يمت في الحرب وبما أن صلتها قد انقطعت بدارالحرب وبزوجها و أهلها وأصبحت مملوكة أذن الله تعالى رحمة بها في نكاحها ممن ملكها من المؤمنين . ولـذا ورد أن الآية نزلت في سبايا أوطاس وهي وقعة كانت بعد موقعة حنين فسبى فيها المسلمون النساء و الذراري ، فتحرّج المؤمنون في غشيان أولئك النسوة ومنهن المتزوجات فأذن لهم في غشيانهنّ بعد أن تسلم إحداهن وتستبرأ بحيضة ، أما قبل إسلامها فلا تحل لأنها مشركة ، هذا معنى قوله تعالىٰ ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ وقوله : ﴿كتاب الله عليكم﴾ يريد ما حرمه تعالى من المناكح قد كتبه على المسلمين كتاباً وفرضه فرضاً لايجوز إهماله أو التهاون به . فكتابَ الله منصوب على المصدرية .[2]

وقوله تعالى : ﴿ وأحل[3] لكم ماوراء ذلكم[4] ﴾ أي ما بعد الذي حرمه من المحرمات بالنسب

(١) الطُول : مصدر طال يطول طولاً بمعنى قدر على التناول من بُعدٍ ولذا فُسّر بالقدرة على المهر.

(٢) ويجوز الرفع نحو هذا كتاب الله وفرضه .

(٣) قرىء أحل بالبناء للمفعول وأحلّ للبناء للفاعل .

(٤) لابد من مراعاة ما حرّم بالسنة وهو الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ، ولا التفات إلى مذهب الخوارج إذ يبيحون ذلك كما يبيحون الجمع بين الاختين ، وعلّة المنع هي : أنّ الجمع يسبب قطيعة الرحم .

وبالرضاع وبالمصاهرة على شرط أن لايزيد المرء على أربع كما هو ظاهر قوله تعالى في أول السورة ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ : وقوله تعالى ﴿ أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ﴾ أي لا حرج عليكم أن تطلبوا بأموالكم من النساء غير ما حرّم عليكم فتتزوجوا ماطاب لكم حال كونكم محصنين غير مسافحين، وذلك بأن يتم النكاح بشروطه من الولي والصداق والصيغة والشهود، إذ أن نكاحاً يتم بغير هذه الشروط فهو السفاح أي الزنى وقوله تعالى ﴿ فما استمتعتم[1] به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ﴾ يريد تعالى: أيما رجل تزوج امرأة فأفضى إليها أي وطئها إلا وجب لها المهر كاملاً، أما التي لم يتم الاستمتاع بها بأن طلقها قبل البناء فليس لها إلا نصف المهر المسمى، وإن لم يكن قد سمى لها فليس لها إلا المتعة، فالمراد من قوله ﴿فما استمتعتم به منهن[2]﴾ أي بنيتم بهن ودخلتم عليهن. وقوله تعالى: ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ يريد إذا أعطى الرجل زوجته ما استحل به فرجها وهو المهر كاملاً فليس عليهما بعد ذلك من حرج في أن تسقط المرأة من مهرها لزوجها، أو تؤجله أو تهبه كله له أو بعضه إذ ذاك لها وهي صاحبته كما تقدم ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [النساء /٤]

وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ المراد منه إفهام المؤمنين بأن الله تعالى عليم بأحوالهم حكيم في تشريعه لهم فليأخذوا بشرعه ورخصه وعزائمه فإنه مراعى فيه الرحمة والعدل، ولنعم تشريع يقوم على أساس الرحمة والعدل.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٤) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً . . . .[3] ﴾ فقد تضمنت بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين إذ رخص لمن لم يستطع نكاح الحرائر لقلة ذات يده، مع خوفه العنت الذي هو الضرر في دينه بالزنى، أو في بدنه

---

(١) استدل الروافض بهذه الآية: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ الخ على جواز نكاح المتعة وهو استدلال فاسد وباطل ويكفي في بطلانه إجماع أهل السنة والجماعة على بطلانه وأنه زنىً إلّا أنه لا يقام على صاحبه حدّ الرجم للشبهة والرسول ﷺ يقول: «ادرأوا الحدود بالشبهات» ونكاح المتعة رخص فيه الرسول ﷺ مرّة ثم أعلن عن حرمته، أعلن ذلك في حجة الوداع ليعلم كل إنسان ذلك، ومن الأدلة على حرمة المتعة، أنّ المتمتع بها لا ترث والزوجة الشرعية ترث الربع والثمن.

(٢) الاستمتاع: التلذذ والأجور: هي المهور، وسمي المهر أجراً لأنه أجر الاستمتاع وهذا دليل على أنه في مقابلة البُضع، إذ كل ما يقابل المنفعة يسمى أجراً.

(٣) اختلف في تحديد معنى الطُول، وأرجح الأقوال أنه سعة المال، وعليه فلا يباح نكاح الأمة إلّا بشرطين: عدم السعة في المال، وخوف العنت، فلا يصح نكاح الأمة إلّا باجتماعهما، ومن كانت تحته حرّة لايجوز أن ينكح عليها أمة، لأنّ الحرّة تدفع العنت عنه، وحكي الإجماع على أنّ من كانت لهُ أمة لايحل له أن يتزوجها بل يطأها بملك اليمين وذلك لتعارض حق الملك مع حق الزوجية. وإذا أعتقها فأصبحت حرّة فله حينئذٍ أن يتزوجها.

بإقامة الحد عليه رخص له أن يتزوج المملوكة بشرط أن تكون مؤمنة، وأن يتزوجها بإذن[1] مالكها وأن يؤتيها صداقها وأن يتم ذلك على مبدأ الإحصان الذي هو الزواج بشروطه لا السفاح، الذي هو الزنى العلني المشار إليه بكلمة ﴿غير مسافحات﴾، ولا الخفيّ المشار إليه بكلمة ﴿ولا متخذات أخدان﴾ أي أخلاء هذا معنى قوله تعالى ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ أي قدرة مالية أن ينكح المحصنات أي العفائف من ﴿فتياتكم المؤمنات﴾ أي من إمائكم المؤمنات لا الكافرات بحسب الظاهر أما الباطن فعلمه إلى الله ولذا قال: ﴿ والله أعلم بإيمانكم ﴾ وقوله ﴿بعضكم من بعض﴾ فيه تطييب لنفس المؤمن إذا تزوج للضرورة الأمـة فإن الإيمان أذهب الفوارق بين المؤمنين وقوله: ﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ﴾ فيه بيان للشروط التي لا بد منها وقد ذكرناها آنفاً.

وقوله تعالى: ﴿فإذا أحصن﴾ ـ أي الإماء ـ بالزواج وبالإسلام ﴿ فإن أتين بفاحشة ﴾ أي زنـين فعليهن حد هو نصف ما على المحصنات من العذاب وهو جلد خمسين جلدة وتغريب ستة أشهر، لأن الحرة إن زنت[2] وهي بكر تجلد مائة وتغرب سنة. أما الرجم والذي هو الموت فإنه لاينصف فلذا فهم المؤمنون في تنصيف العذاب أنه الجلد لا الرجم وهو إجماع لاخلاف فيه وقوله: ﴿ ذلك لمن خشي العنت منكم ﴾ يريد أبحت لكم ذلك لمن خاف على نفسـه الـزنى إذا لم يقـدر على الـزواج من الحـرة لفقـره واحتياجـه وقوله تعالى: ﴿ وأن تصـبروا. . . . . ﴾ أي على العـزوبيَّة خير لكم من نكـاح الإمـاء. وقوله ﴿ والله غفور رحيم ﴾ أي غفـور للتـائبـين رحيم بالمؤمنين ولذا رخَّص لهم في نكاح الإماء عند خوف العنت، وأرشدهم إلى ماهو خير منه وهو الصبر[3] فلله الحمد وله المِنَّة.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ تحريم المرأة المتزوجة حتى يفارقها زوجها بطلاق أو موت وحتى تنقضي عدتها.

---

(١) وأجمعوا على أنّه لا يجوز للمملوك أن يتزوج بغير إذن سيده، وإن تزوّج فسخ زواجه وهل عليه الحدّ؟ خلاف.

(٢) دليل حد الأمة إن زنت قوله ﷺ: (إذا زنت أمة أحدكم فليحدها الحد).

وقال علي في خطبته أيها الناس: أقيموا على أرقائكم الحدّ من أحصن منهن ومن لم يحصن الحديث رواه مسلم.

(٣) قال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت أو قال فساد البيت)

٢ ـ جواز نكاح المملوكة باليمين وإن كان زوجها حياً في دار الحرب إذا أسلمت، لأن الإسلام فصل بينهما.

٣ ـ وجوب المهور، وجواز إعطاء المرأة من مهرها لزوجها شيئاً.

٤ ـ جواز التزوج من المملوكات لمن خاف العنت وهو عادم للقدرة على الزواج من الحرائر.

٥ ـ وجوب إقامة الحد على من زنت من الإماء إن أُحْصِنَّ بالزواج والإسلام.

٦ ـ الصبر على العزوبة خير من[1] الزواج بالإماء لإرشاد الله تعالى إلى ذلك.

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

شــرح الكلمـات:

يريد الله ليبين لكم[2] : يريد الله أن يبينَ لكم بما حرم عليكم وأحل لكم مايكملكم ويسعدكم في دنياكم وأُخراكم.

سنن الذين من قبلكم[3] : طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء والصالحين لتنهجوا نهجهم فتطهروا وتكملوا وتفلحوا مثلهم.

ويتوب عليكم : يرجع بكم عما كنتم عليه من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام.

الذين يتبعون الشهوات[4] : من اليهود والنصارى والمجوس والزناة.

(١) يشهد لذلك قول عمر رضي الله عنه ايما رجل تزوج أمة فقد أرق نصفه يعني يصير ولده رقيقا فالصبر على عدم التزوج بالإماء أفضل لكي لا يرق الولد.

(٢) الأصل يريد أن يُبَيِّن لكم فحذفت أن ودخلت اللام على الفعل والتقدير يريد الله البيان لكم والهدى والتوبة فاللام إذن لتوكيد معنى الفعل ومثلها في قوله ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ في آية وفي آية أخرى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ قال النحاس سمى بعضهم هذه اللام لام (أن).

(٣) فيكون معنى هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً﴾.

(٤) أي تغلبهم شهواتهم على مخالفة شرع الله لعباده من أمور الدين التي عليها مدار سعادة الإسنان وكماله.

أن تميلوا ميلًا عظيمًا : تحيدوا عن طريق الطهر والصفاء إلى طريق الخبث والكدر بارتكاب المحرمات من المناكح وغيرها فتبتعدوا عن الرشد بعداً عظيمًا.

وخلق الإنسان ضعيفاً : لا يصبر عن النساء، فلذا رخّص تعالى لهم في الزواج من الفتيات المؤمنات.

معنى الآيات:

لما حرم تعالى ما حرم من المناكح وأباح ما أباح منها علل لذلك بقوله ﴿يريد الله﴾[1] أي بما شرع ليبيّن ما هو نافع لكم مما هو ضار بكم فتأخذوا النافع وتتركوا الضار، كما يريد أن يهديكم طرائق الصالحين من قبلكم من أنبياء ومؤمنين صالحين لتسلكوها فتكلموا وتسعدوا في الحياتين، كما يريد بما بين لكم أن ﴿يتوب عليكم﴾ أي يرجع بكم من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام فتعيشوا على الطهر والصلاح، وهو تعالى عليم بما ينفعكم ويضركم حكيم في تدبيره لكم فاشكروه بلزوم طاعته، والبعد عن معصيته.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٦) أما الآية الثانية (٢٧) فقد تضمنت الإخبار بأن الله تعالى يريد بما بيّنه من الحلال والحرام في المناكح وغيرها أن يرجع بالمؤمنين من حياة الخبث والفساد التي كانوا يعيشونها قبل الإسلام إلى حياة الطهر والصلاح في ظل تشريع عادل رحيم. وأنَّ الذين يتّبعون الشهوات من الزناة واليهود والنصارى وسائر المنحرفين عن سنن الهدى فإنهم يريدون من المؤمنين أن ينحرفوا مثلهم فينغمسوا في الملاذ والشهوات البهيميةَ حتى يصبحوا مثلهم لا فضل لهم عليهم، وحينئذ لا حق لهم في قيادتهم أو هدايتهم.

هذا معنى الآية الثانية أما الثالثة (٢٨) فقد أخبر تعالى أنه بإباحته للمؤمنين العاجزين عن نكاح الحرائر نكاح الفتيات المؤمنات يريد بذلك التخفيف والتيسير[2] عن المؤمنين رحمة بهم وشفقة عليهم لما يعلم تعالى من ضعف الإنسان وعدم صبره عن النساء بما غرز فيه من غريزة

---

(١) سيقت هذه الآية تذييلا لما سبقها لغرض استئناس المسلمين واستنزال نفوسهم إلى امتثال أوامر الله تعالى المتقدمة في أوّل السورة وهي أحكام النكاح والإرث والمعاشرة.

(٢) شاهده الكتاب في قوله تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ومن السنة قوله ﷺ: «إنّ هذا الدين يسر ولن يشادّ هذا الدين أحد إلّا غلبه» وقوله لمعاذ وأبي موسى: «يسرا ولا تعسرا» وبذا كان التيسير من أصول الشريعة الإسلامية، ويشهد لهذا وجود الرخص في مسائل الدين.

الميل إلى أنثاه لحفظ النوع ولحكم عالية وقال تعالى: ﴿ يريد الله أن يخفف[1] عنكم وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً[2] ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ منّة الله تعالى علينا في تعليله الأحكام لنا لتطمئن نفوسنا ويأتي العمل بانشراح صدر وطيب خاطر.

٢ ـ منة الله تعالى على المؤمنين بهدايتهم إلى طرق الصالحين وسبيل المفلحين ممن كانوا قبلهم.

٣ ـ منته تعالى في تطهير المؤمنين من الأخباث وضلال الجاهليات.

٤ـ الكشف عن نفسية الإنسان، إذ الزناة يرغبون في كون الناس كلهم زناه والمنحرفون يودون أن ينحرف الناس مثلهم، وهكذا كل منغمس في خبث أو شر أو فساد يود أن يكون كل الناس مثله، كما أن الطاهر الصالح يود أن يطهر ويصلح كل الناس.

٥ ـ ضعف الإنسان أمام غرائزه لا سيما غريزة الجنس.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

(١) أي في جميع الأحكام وبخاصة في نكاح الإماء لما علم من ضعف الإنسان في أمر النساء.

(٢) معنى ضعيفا: أنّ هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه، وهذا أشد الضعف ولذا احتاج إلى التخفيف فخفف الله عنه. والحمد لله.

شـــرح الكلمـات:

آمنوا : صدقوا الله والرسول.

بالباطل : بغير حق يبيح أكلها.

تجـارة[1] : بيعاً وشراءً فيحل لصاحب البضاعة أن يأخذ النقود ويحل لصاحب النقود أخذ البضاعة، إذاً لا باطل.

تقتلوا أنفسكم : أي تزهقوا أرواح بعضكم بعضاً.

عدواناً وظلمًا : اعتداء يكون فيه ظالماً.

نصليه ناراً : ندخله نار جهنم يحترق فيها.

معنى الآيتين :

مازال السياق في بيان ما يحل وما يحرم من الأموال والأعراض والأنفس ففي هذه الآية (٢٩) ينادي الله تعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل بالسرقة أو الغش أو القمار أو الربا وما إلى ذلك من وجوه التحريم[2] العديدة فيقول: ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾، أي بغير عوض مباح، أو طيب نفس، ثم يستثنى ما كان حاصـلا عن تجارة قائمة على مبدأ التراضي بين البيعين لحديث « إنما البيع عن تراض » و « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » فقال تعالى: ﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض[3] منكم ﴾ فلا بأس بأكله فإنه حلال لكم. هذا ماتضمنته هذه الآية كما قد تضمنت حرمة قتل المؤمنين لبعضهم بعضاً فقال تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ والنهي شامل لقتل الإنسان نفسه وقتله أخاه المسلم لأن المسلمين كجسم واحد فالذي يقتل مسلمًا منهم كأنما قتل نفسه. وعلل تعالى هذا التحريم لنا فقال إن الله كان بكم رحيمًا، فلذا حرّم عليكم قتل بعضكم بعضاً.

---

(١) كل معاوضة في مباح فهي تجارة حتى إنّ الله تعالى سمى ثمن طاعته وطاعة رسوله تجارة في قوله تعالى ﴿هل أدلكم على تجارة. . .﴾ الآية.

(٢) كبيع العربون بأن يقول لأخيه خذ هذه العشرة دنانير إن أخذتُ السلعة وإلاّ فهي لك، هذا بيع باطل لأنه لا حق له في أخذ العربون، إن عجز أخوه عن أخذ السلعة له.

(٣) لم يختلف في بيع الخيار وذلك بأن يقول المسلم لأخيه بعني كذا أو بعتك كذا أو اعطني مهلة يوم أو يومين أفكر فيها، فهذا البيع جائز إن تم وإن لم يتم واختلف في معنى قول الرسول ﷺ «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا» هل التفرق بالأبدان أو بالكلام والصحيح أنّه بالأبدان فلكلٍ منهما الفسخ والإمضاء ما داما في المجلس فإن تفرقا مضى البيع.

هذا ماتضمنتـه الآية الأولى (٢٩) أما الآية الثانية (٣٠) فقد تضمنت وعيداً شديداً بالإصلاء بالنار والإحراق فيها كل من يقتل مؤمناً عدواناً وظلمًا أي بالعمد[١] والإصرار والظلم المحض ، فقال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي القتل ﴿عدواناً وظلمًا فسوف نصليه ناراً، وكان ذلك﴾ أي الإصلاء والاحراق في النار ﴿على الله يسيراً﴾ لكمال قدرته تعالى فالمتوعد بهذا العذاب إذا **لا يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه بحال من الأحوال.**

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين :

١ ـ حرمة مال المسلم، وكل مال حرام وسواء حازه بسرقة أو غش أو قمار أو ربا.

٢ ـ إباحة التجارة والترغيب[٢] فيها والرد على جهلة المتصوفة الذين يمنعون الكسب بحجة التوكل.

٣ ـ تقرير مبدأ «إنما البيع عن تراض، والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا».

٤ ـ حرمة قتل المسلم نفسه أو غيره من المسلمين لأنهم أمة واحدة.

٥ ـ الوعيد الشديد لقاتل النفس[٣] عدواناً وظلمًا بالإصلاء بالنار.

٦ ـ إن كان القتل غير عدوان بأن كان خطأ، أو كان غير ظلم بأن كان عمداً ولكن بحق كقتل من قتل والده أو ابنه أو أخاه فلا يستوجب هذا الوعيد الشديد.

إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

شــرح الكلمـات:

أن تجتنبوا : تبتعدوا لأن الاجتناب ترك الشيء عن جنب بعيداً عنه لايقبل عليه ولا يقربه.

(١) أي لم يكن سهواً منه ولا خطأً وهو معنى ﴿عدوانا﴾ ولا بحق كقصاص وهو معنى ﴿ظلما﴾.

(٢) يكفي في الرد عليهم ثناء الرسول ﷺ على التاجر الأمين في قوله: «التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة» إلاّ أنه يحرم على التاجر أن يروّج سلعته بالأيمان الكاذبة، كما يكره له أن يصلي على النبي عند عرض سلعته كقوله: صلى الله على محمد ما أجود هذا كما يكره له أن تشغله التجارة عن صلاة الجماعة.

(٣) ورد الوعيد الشديد في قاتل نفسه من ذلك قوله ﷺ: «من قتل نفسه بشيء عذّب به يوم القيامة» رواه الجماعة. وقوله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلّدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم، فسمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو مترد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا».

كبائر ماتنهون عنه : الكبائر: ضد الصغائر، والكبيرة تعرف بالحد لا بالعد فالكبيرة ماتوعد الله ورسوله عليها، أو لعن الله ورسوله فاعلها أو شرع لها حدّ يقام على صاحبها، وقد جاء في الحديث الصحيح بيان العديد من الكبائر، وعلى المؤمن أن يعلم ذلك ليجتنبه.

نكـــفر : نغطي ونستر فلا نطالب بها ولا نؤاخذ عليها.

مدخلاً كريمًا : المدخل الكريم هنا: الجنة دار المتقين.

معنى الآية الكريمة:

يتفضل الجبار جل جلاله وعظم إنعامه وسلطانه فيمن على المؤمنين من هذه الأمة المسلمة بأن وعدها وعد الصدق بأن من اجتنب منها كبائر الذنوب كفر عنه صغائرها وأدخله الجنة دار السلام وخلع عليه حلل الرضوان فقال تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾[1] ما أنهاكم عنه أنا ورسولي ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ التي هي دون الكبائر[2] وهي الصغائر، ﴿وندخلكم مدخلاً كريمًا﴾ الذي هو الجنة ولله الحمد والمنة. لهذا كانت هذه الآية من مبشرات القرآن لهذه الأمة.

هداية الآيـة:

من هدايةالآية:

١ ـ وجوب الابتعاد عن سائر الكبائر، والصبر على ذلك حتى الموت.

٢ ـ الذنوب قسمان كبائر وصغائر ولذا وجب العلم بها لاجتناب كبائرها وصغائرها ما أمكن ذلك، ومن زل فليتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.[3]

٣ ـ الجنة لا يدخلها إلا ذوُوالنفوس الزكية الطاهرة باجتنابهم المدنسات لها من كبائر الذنوب والآثام والفواحش.[4]

---

(١) اجتناب الكبائر إن كان المراد به كبائر الذنوب فلابد من ضميمة أداء الفرائض فإن اجتناب الكبائر مع تضييع الفرائض غير مجدٍ، وإن أريد باجتناب الكبائر تحاشي ترك الفرائض والاحتماء من فعل الكبائر فذاك، ويشهد لهذا حديث الصحيح: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

(٢) اختلف في تحديد الكبيرة وفي عددها أمّا العدد فقد قيل لابن عباس الكبائر سبع؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع وقد ورد النص في بعضها كحديث مسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات» فعد منها ستاً وفي أحاديث صحاح أخرى ذكر عدداً آخر، والذي عليه أهل العلم أنها لا تُعد ولكن تحدّ كما في التفسير، وأمّا الصغيرة فهي نسبية فالنظرة إلى اللّمسة صغيرة، واللّمسة إلى القبلة صغيرة وهكذا.

(٣) شاهده في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: غير أنّه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار بعد قوله هي إلى السبعمائة أقرب

(٤) أهل الكبائر الذين ماتوا يزاولونها ولم يغفر لهم ويشفع لهم فإنهم يطهّرون وتزكوا نفوسهم بعذاب النار ثمّ يغسلون أيضا في نهر عند باب الجنة، يقال له نهر الحيوان، فيدخلون الجنة بنفوس زكية، وأرواح طاهرة نقيّة.

وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات:

ولا تتمنوا : التمني: التشهي والرغبة في حصول الشيء، وأداته: ليت، ولو، فإن كان مع زوال المرغوب فيه عن شخص ليحصل للمتمني فهو الحسد.

ما فضل الله بعضكم : أي مافضل الله به أحداً منكم فأعطاه علماً أو مالاً أو جاهاً أو سلطاناً.

نصيب مما اكتسبوا : أي حصة وحظ من الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية.

موالي : الموالي من يلون التركة ويرثون الميت من أقارب.

عقدت إيمانكم : أي حالفتموهم وتآخيتم معهم مؤكدين ذلك بالمصافحة واليمين.

فآتوهم نصيبهم : من الرفادة والوصيّة والنصرة لأنهم ليسوا ورثة.

معنى الآيتين:

صح أو لم يصح أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال فإن الله سميع عليم، والذين يتمنون[1] حسداً وغير حسد ما أكثرهم ومن هنا نهى

---

(١) التمني: نوع إرادة يتعلق بالمستقبل، وعلى خلافه التلهف لأنه يتعلق بالماضي، وسرّ النهي عنه أنّ فيه تعلق البال بالمتمنى ونسيان الأجل، ولذا حرم التمني الذي هو الحسد، وهو نوعان: تمني زوال النعمة عن غيره لتحصل له، وتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له وهو شرّ الحسد، وهل الغبطة من الحسد؟ والجواب لا والغبطة هي أن يرى العبد نعمة علم أو مال لأحد فيغتبط ويسأل الله تعالى أن يكون له ذلك العلم ليعلمه ويعمل به، أو يكون له ذلك المال ليتصدق به فهذه الغبطة محمودة لحديث البخاري: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل أتاه الله مالا فلسطه على هلكته في الحق فيقول الرجل لو أنّ لي مثل ما لفلان لعملت مثله فهما في الأجر سواء».

الله تعالى في هذه الآية الكريمة (٣٢) عباده المؤمنين عن تمني ما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض فأعطى هذا وحرم ذاك لحكم اقتضت ذلك، ومن أظهرها الابتلاء بالشُكرِ والصبر، فقال تعالى: ﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به﴾ - من علم أو مال. أو صحة أو جاه أو سلطان - ﴿بعضكم على بعض﴾ وأخبر تعالى أن سنته في الثواب والعقاب الكسب والعمل فليعمل من أراد الأجر والمثوبة بموجبات ذلك من الإيمان والعمل الصالح، ولا يتمنى ذلك تمنياً، وليكف عن الشرك والمعاصي من خاف العذاب والحرمان ولا يتمنى النجاة تمنياً كما على من أراد المال والجاه فليعمل له بسننه المنوطة به ولا يتمنى فقط فإن التمنى كما قيل بضائع النوكىٰ أي الحمقى، فلذا قال تعالى ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾، فرد القضية إلى سنته فيها وهي كسب الإنسان. كقوله تعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ثم بين تعالى سنة أخرى في الحصول على المرغوب وهي دعاء الله تعالى فقال ﴿ واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما ﴾ فمن سأل ربّه وألح[1] عليه موقناً بالاجابة أعطاه فيوفقه للإتيان بالأسباب، ويصرف عنه الموانع، ويعطيه بغير سبب إن شاء، وهو على كل شيء قدير، بل ومن الأسباب المشروعة الدعاء والإخلاص فيه.

هذا ماتضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (٣٣) فإن الله تعالى يخبر مقرراً حكماً شرعياً[2] قد تقدم في السياق وهو أن لكل من الرجال والنساء ورثة يرثونه إذا مات فقال ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ أي أقارب يرثونه إذا مات، وذلك من النساء والرجال أما الذين هم موالي بالحلف أو الإخاء فقط أي ليسوا من أولي الأرحام فالواجب إعطاؤهم نصيبهم من النصرة والرفادة. والوصية لهم بشيء إذ لاحظ لهم في الإرث لقوله تعالى: ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ ، ولما كان توزيع المال وقسمته تتشوق له النفوس وقد يقع فيه حيف أو ظلم أخبر تعالى أنه على كل شيء شهيد فلا يخفى عليه من أمر الناس شيء فليتق ولا يُعص.

(١) لحديث الترمذي وغيره قال ﷺ: «سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج» أي من الله تعالى وهو تعلق القلب بالربّ تعالى.

(٢) هذه الآية ناسخة لكل من الإرث بالتحالف والمؤاخاة وهي كقوله تعالى: ﴿وأولوا الأراحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ وأمّا التحالف وهو المقصود بقوله تعالى ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ فقد كان الرجل في الجاهلية يقول لمن أراد محالفته: دمي، دمك، وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك، وسلمي سلمك وترثني وأرثك، وأمّا المؤاخاة فقد كانت بين المهاجرين والأنصار بأمر رسول الله ﷺ فتوارثوا بها حتى نسخت بهذه الآية وآية الأنفال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.

فقال: ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ لا يخفى عليه من أمركم شيء فاتقوه وأطيعوه ولا تعصوه.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ - قبح التمني وترك العمل.

٢ - حرمة الحسد.

٣ - فضل الدعاء وأنه من الأسباب التي يحصل بها المراد.

٤ - تقرير مبدأ التوارث في الإسلام.

٥ - من عاقد أحداً على حلف أو آخى أحداً وجب عليه أن يعطيه حق النصرة والمساعدة وله أن يوصي له بما دون الثلث[1]، أما الإرث فلا حق له لنسخ ذلك.

٦ - وجوب مراقبة الله تعالى، لأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء شهيد.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

(١) يدخل في هذا المتبني فإن لمن تبنّاه بمعنى ربّاه أن يوصي له بما دون الثلث أمّا أن ينسبه إليه فلا لأنه محرّم بالكتاب والسنة

شرح الكلمات:

قوامون : جمع قوام[1]: وهو من يقوم على الشيء رعاية وحماية وإصلاحاً.

بما فضل الله بعضهم : بأن جعل الرجل أكمل في عقله ودينه وبدنه فصلح للقوامة.

وبما أنفقوا من أموالهم[2] : وهذا عامل آخر مما ثبتت به القوامة للرجال على النساء فإن الرجل بدفعه المهر وبقيامه بالنفقة على المرأة كان أحق بالقوامة التي هي الرئاسة.

الصالحات[3] : جمع صالحة: وهي المؤدية لحقوق الله تعالى وحقوق زوجها.

قانتات : مطيعات لله ولأزواجهن.

حافظات للغيب : حافظات لفروجهن وأموال أزواجهن.

نشوزهن : النشوز: الترفع عن الزوج وعدم طاعته.

فعظوهن : بالترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية.

فلا تبغوا عليهن سبيلاً : أي لا تطلبوا لهن طريقاً تتوصلون به إلى ضربهن بعد أن أطعنكم.

شقاق بينهما : الشقاق: المنازعة والخصومة حتى يصبح كل واحد في شق مقابل.

حكمًا : الحكم: الحاكم، والمحكم في القضايا للنظر والحكم فيها.

معنى الآيتين:

يروى في سبب نزول هذه الآية أن سعد بن[4] الربيع رضي الله عنه أغضبته امرأته فلطمها فشكاه وليها إلى رسول الله ﷺ كأنه يريدالقصاص فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم ﴾. فقال وليّ المرأة أردنا أمراً وأراد الله غيره، وما أراده الله خير. ورضي بحكم الله تعالى وهو أن الرجل

---

(١) قوّام ومثله قيّام وقيّوم وقيّم كلها بمعنى واحد مشتقة من القيام، لأن من شأن مَنْ يهتم بالشيء وتدبيره أن يقف عليه ويقوم

(٢) أخذ من هذه الجملة الفقهاء أنّ من عجز عن النفقة كان للزوجة فسخ النكاح لانعدام القوامة لها التي بها استحق الرجل العصمة، وخالف أبو حنيفة فلم يَرَ الطلاق بالاعسار.

(٣) أثنى رسول الله ﷺ على هؤلاء الصالحات بقوله: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿حافظات للغيب..﴾.

(٤) ذكر في سبب نزولها عدّة أسباب، وما ذكرناه أولى بالصحة والقبول.

مادام قواماً على المرأة يرعاها ويربيها ويصلحها بما أوتي من عقل أكمل من عقلها، وعلم أغزر من علمها غالباً وبُعد نظر في مبادىء الأمور ونهاياتها أبعد من نظرها يضاف إلى ذلك أنه دفع مهراً لم تدفعه، والتزم بنفقات لم تلتزم هي بشيء منها فلما وجبت له الرئاسة عليها وهي رئاسة شرعية كان له الحق أن يضربها بما لا يشين جارحة أو يكسر عضواً فيكون ضربه لها كضرب المؤدب لمن يؤدبه ويربيه وبعد تقرير هذا السلطان للزوج على زوجته أمر الله تعالى بإكرام المرأة والإحسان إليها والرفق بها لضعفها وأثنى عليها فقال: ﴿فالصَّالحاتُ﴾ ، وهن: الائي يؤدين حقـوق الله تعـالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وحقوق أزواجهن من الطاعة والتقدير والاحترام ﴿قَانِتَات ﴾ : أي مطيعات لله تعالى، وللزوج، ﴿حافِظاتٌ للغَيْب﴾ أي حافظاتٌ مالَ الزوج وعرضه لحديث : «وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»[1] ﴿بما حَفِظَ الله﴾ أي بحفظ الله تعالى لها وإعانته لها إذ لو وكلت إلى نفسها لاتستطيع حفظ شيء وإنْ قَل. وفي سياق الكلام مايشير إلى محذوف يفهم ضمناً وذلك أن الثناء عليهن من قبل الله تعالى يستوجب من الرجل إكرام المرأة الصالحة والإحسان إليها والرفق بها لضعفها، وهذا ما ذكرته أولاً نبهت عليه هنا ليعلم أنه من دلالة الآية الكريمة، وقد ذكره غير واحد من السلف.

وقوله تعالى: ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم، فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾. فإنه تعالى يرشد الأزواج إلى كيفية علاج الزوجة إذا نشزت أي ترفعت على زوجها ولم تؤدي إليه حقوقه الواجبة له بمقتضى العقد بينهما، فيقـول ﴿واللائي تخـافـون نشـوزهن﴾ أي ترفُعهن بمـا ظهر لكم من علامات ودلائل كأن يأمرها فلا تطيع ويدعوها فلا تجيب وينهاها فلا تنتهي، فاسلكوا معهن السبيل الآتي: ﴿فعظوهن﴾ أولاً، والوعظ تذكيرها بما للزوج عليها من حق يجب أداؤه، ومايترتب على إضاعته من سخط الله تعـالى وعـذابـه، وبما قد ينجم من إهمالها في ضربها أو طلاقها فالوعظ ترغيب بأجر الصالحات القانتات، وترهيب من عقوبة المفسدات العاصيات فإن نفع الوعظ فيها وإلا فالثانية وهي أن يهجرها[2] الزوج في الفراش فلا يكلمها وهو نائم معها على فراش واحد وقد

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي، وقد تقدم في النهر آنفاً وهو حديث صحيح.

(٢) هذا الهجر في الفراش شهر فلا يزيد عليه كما فعل النبي ﷺ حين أسر إلى حفصة فافشته لعائشة، ولا يكون كالإيلاء أربعة أشهر.

أعطاها ظهره فلا يكلمها ولا يجامعها وليصبر على ذلك حتى تؤوب إلى طاعته وطاعة الله ربهما معاً وإن أصرت ولم يجد معها الهجران في الفراش، فالثالثة وهي أن يضربها[1] ضرباً غير مبرح لايشين جارحة ولا يكسر[2] عضواً. وأخيراً فإن هي أطاعت زوجها فلا يحل بعد ذلك أن يطلب الزوج طريقاً إلى أذيّتها لا بضرب ولا بهجران لقوله تعالى: ﴿ فإن أطعنكم﴾ أي الأزواج ﴿ فلا تبغـوا ﴾ أي تطلبـوا ﴿ عليهن سبيلاً ﴾ لأذيتهنّ باختلاق الأسباب وإيجاد العلل والمبررات لأذيتهنّ. وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان علياً كبيراً ﴾ تذييل للكلام بما يشعر من أراد أن يعلو[3] على غيره بما أوتي من قدرة بأن الله أعلى منه وأكبر فليخش الله وليترك من علوه وكبريائه.

هذا ما تضمنتـه هذه الآية العظيمة (٣٤) أما الآية الثانية (٣٥) فقد تضمنت حكمًا جتماعياً آخر وهو إن حصل شقاق بين زوج وامرأته فأصبح الرجل في شق والمرأة في شق آخر فلا تلاقي بينهما ولا وفاق ولا وئام وذلك لصعوبة الحال فالطريق إلى حل هذا المشكل ما أرشد الله تعالى إليه، وهو أن يبعث ولي الزوجة حكمًا من قبله، ويبعث ولي الزوج حكمًا من قبله، أو يبعث الـزوج نفسه حكمًا وتبعث الزوجة أيضا حكما من قبلها ، أو يبعث القـاضي كذلك الكل جائز لقوله تعالى: ﴿فابعثوا﴾ وهو يخاطب المسلمين على شرط أن يكـون الحكم عدلا عالمـاً بصيرا حتى يمكنه الحكم والقضاء بالعدل. فيدرس الحكمان القضية أولا مع طرفي النزاع ويتعرفان إلى أسباب الشقاق وبما في نفس الزوجين من رضى وحب، وكراهية وسخط ثم يجتمعان على اصلاح ذات البين فإن أمكن ذلك فيها وإلا فرقا بينهما برضا الزوجين. مع العلم أنهما إذا ثبت لهما ظلم أحدهما فإن عليهما أن يطالبا برفع الظلم فإن كان الزوج هو الظالم فليرفع ظلمه وليؤد ما وجب عليه، وإن كانت المرأة هي الظالمة فإنها ترفع ظلمها أو تفدي نفسها بمال فيخالعها به زوجها هذا معنى قوله تعالى ﴿وإن

---

(١) لم يصرح الله تعالى بالضرب في كتابه إلّا في الحدود وهنا في ضرب الناشز، وهذا دليل على أنّ عصيان الزوجة لزوجها حرام ويشهد لهذا حديث: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح» رواه مسلم.

(٢) لحديث مسلم في خطبة حجة الوداع إذ فيه: ﴿واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾.

(٣) روى أبو داود والنسائي وابن ماجه أنّه لمّا قال الرسول ﷺ: « لا تضربوا إماء الله فجاء عمر وقال يا رسول الله ذئرت النساء على أزواجهن فرخص ﷺ في ضربهن فأطاف بآل رسول الله نساء كثير يشتكين أزواجهن فقال رسول الله ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولائك بخياركم» ومعنى: ذئرت النساء: أي نشزت وتغير خلقهن، أو نشزن واجترأن والاجتراء هنا أولى بالمعنى.

خفتم شقاق بينهما﴾، والخوف هنا بمعنى التوقع الأكيد بما ظهر من علامات ولاح من دلائل فيعالج الموقف قبل التأزم الشديد ﴿فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها﴾، لأنهما أعرف بحال الزوجين من غيرهما وقوله تعالى ﴿إن يريدا إصلاحاً﴾ فإنه يعني الحكمين، ﴿يوفق الله بينهما﴾ أي إن كان قصدهما الإصلاح والجمع بين الزوجين وإزالة الشقاق والخلاف بينهما فإن الله تعالى يعينهما على مهمتها ويبارك في مسعاهما ويكلله بالنجاح. وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عليما خبيرا﴾. ذكر تعليلاً لما واعد به تعالى من التوفيق بين الحكمين، إذ لو لم يكن عليمًا خبيراً ما عرف نيات الحكمين وما يجرى في صدورهما من إرادة الإصلاح أو الإفساد.

هداية الآيتيـــن

من هداية الآيتين :

١ ـ تقرير مبدأ القيومية للرجال على النساء وبخاصة الزوج على زوجته.

٢ ـ وجوب إكرام الصالحات والإحسان إليهن.

٣ ـ بيان علاج مشكلة نشوز[1] الزوجة وذلك بوعظها أولاً ثم هجرانها في الفراش ثانيا، ثم بضربها ثالثا.

٤ ـ لا يحل اختلاق الأسباب وإيجاد مبررات لأذية المرأة بضرب وبغيره.

٥ ـ مشروعية التحكيم في الشقاق بين الزوجين وبيان ذلك.

۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ

---

(١) النشوز: العصيان، مأخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الأرض، ويقال نشز الرجل ينشز إذا كان قاعدا فنهض قائما ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا﴾ أي ارتفعوا وقوموا، فنشوز المرأة ترفعها عن طاعة الزوج.

ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات

اعبدوا الله[١] : الخطاب للمؤمنين ومعنى اعبدوا: أطيعوه في أمره ونهيه مع غاية الذل والحب والتعظيم له عز وجل.

لا تشركوا به شيئاً[٢] : أي لا تعبدوا معه غيره بأي نوع من أنواع العبادات التي تعبد الله تعالى بها عباده من دعاء وخشية وذبح ونذر وركوع وسجود وغيرها.

ذوي القربى : أصحاب القرابات.

وابن السبيل : المسافر استضاف أو لم يستضف.

والجار ذي القربى[٣] : أي القريب لنسب أو مصاهرة.

الجار الجنب : أي الأجنبي مؤمناً كان أو كافراً.

الصاحب بالجنب : الزوجة، والصديق الملازم كالتلميذ والرفيق في السفر.

وماملكت أيمانكم : من الأرقاء العبيد فتيان وفتيات.

مختال فخور : الاختيال: الزهو في المشي، والفخر والافتخار بالحسب والنسب والمال بتعداد ذلك وذكره.

---

(١) هذه الآية محكمة اجماعاً لا نسخ فيها البتة وتسمى آية الحقوق العشرة.

(٢) الشرك ثلاثة أنواع: شرك في ربوبية الله تعالى للعالمين، وشرك في أسمائه تعالى وصفاته وشرك في عبادته تعالى، والشرك بأنواعه الثلاثة من الذنب الذي لا يغفر لصاحبه إلاّ بالتوبة الصادقة منه، ومن شرك العبادة: الرياء.

(٣) قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إنّ لي جارين فإلى أيهما أهدى؟ فقال: «إلى أقربهما منك باباً» والجيران الثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان وجار له حق واحد، فالجار الذي له ثلاثة حقوق: فالجار المسلم القريب، حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، والجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الذي له حق واحد هو الكافر له حق الجوار.

يبخلون : يمنعون الواجب بذله من المعروف مطلقا.

ويكتمون : يجحدون ما أعطاهم الله من علم ومال تفضلا منه عليهم.

قريناً : القرين: الملازم الذي لا يفارق صاحبه كأنه مشدود معه بقرن أي بحبل.

وماذا عليهم[1] : أي أي شيء يضرهم أو ينالهم بمكروه إذا هُمْ آمنوا ؟

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في هداية المؤمنين، وبيان الأحكام الشرعية لهم ليعملوا بها فيكملوا ويسعدوا ففي الآية الأولى (٣٦) يأمر تعالى المؤمنين بعبادته وتوحيده[2] فيها وبالإحسان[3] إلى الوالدين وذلك بطاعتهم في المعروف وإسداء الجميل لهم، ودفع الأذى عنهم، وكذا الأقرباء، واليتامى، والمساكين، والجيران[4] مطلقا أقرباء أو أجانب، والصاحب الملازم الذي لا يفارق كالزوجة والمرافق في السفر والعمل والتلمذة والطلب ونحو ذلك من الملازمة التي لاتفارق إلا نادراً إذ الكل يصدق عليه لفظ الصاحب بالجنب. وكذا ابن السبيل وما ملكت اليمين من أمة أو عبد والمذكورون الإحسان إليهم آكد وإلا فالإحسان معروف يبذل لكل الناس كما قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾، وقال ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ وقوله تعالى: ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالا فخور﴾ دال على أن منع الإحسان الذي هو كف الأذى وبذل المعروف ناتج عن خلق البخل والكبر وهما من شر الأخلاق هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٦).

وأما الآية الثانية (٣٧) وقد تضمنت بمناسبة ذم البخل والكبر التنديد ببخل بعض أهل الكتاب وكتمانهم الحق وهو ناتج عن بخلهم أيضا قال تعالى: ﴿ الذين يبخلون[5] ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ أي من مال وعلم وقد كتموا نُعوت النبي

---

(١) الاستفهام هنا انكاري توبيخي.

(٢) التوحيد: ضد الشرك وقد ورد في الشرك ـ تحذيراً منه ـ أحاديث صحاح منها حديث مسلم: «يقول الرسول ﷺ قال الله تبارك وتعالى، أنا أغنى الشركاء عن الشرك مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

(٣) قرن تعالى في غير آية عبادته بالإحسان إلى الوالدين نظراً إلى أنّ الله تعالى خلق ورزق فهو أحق بالطاعة، وأنّ الوالدين تكوّن الولد منهما وربياه في صغره فكانت المنّة لهما بعد الله تعالى.

(٤) صحّ في الإحسان إلى الجار العديد من الأحاديث منها: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» ومنها: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» ومنها: «والله لا يؤمن فقيل مَنْ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه».

(٥) البخل المذموم شرعا: هو الامتناع من أداء الحقوق الواجبة، والشح: بخل مع حرص وهو شرّ من مجرّد البخل.

ﷺ وصفاته الدالة عليه في التوراة والإنجيل، وبخلوا بأموالهم وأمروا بالبخل بها، إذ كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم على محمد فإنا نخشى عليكم الفقر، وخبر الموصول الذين محذوف تقديره هم الكافرون حقاً دلَّ عليه قوله: ﴿ وأعتدنا[1] للكافرين عذاباً مهيناً ﴾. هذا ما جاء في هذه الآية الثانية.

أما الآيتان الثالثة (٣٨) والرابعة (٣٩) فإن الأولى منهما قد تضمنت بيان حال أناسٍ آخرين غير اليهود وهم المنافقون فقال تعالى: ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ أي مراءاة لهم ليتقوا بذلك المذمة ويحصلوا على المحمدة. ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾. لأنهم كفار مشركون وَإنما أظهروا الإسلام تقية فقط ولذا كان إنفاقهم رياء لا غير. وقوله: ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ أي بئس القرين له الشيطان وهذه الجملة: ﴿ ومن يكن الشيطان. . . ﴾ دالة على خبر الموصول المحذوف اكتفى بها عن ذكره كما في الموصول الأول وَ قد يقدر بمثل: الشيطان[2] قرينهم هو الذي زين لهم الكفر بالله واليوم الآخر.

هذا ماتضمنته الآية الثانية (٣٩) وهي قوله تعالى ﴿ وماذا عليهم[3] لو آمنوا بالله واليوم الآخر. وأنفقوا مما رزقهم الله؟؟ ﴾ فقد تضمنت الإنكار والتوبيخ لأولئك المنافقين الذين ينفقـون رياء النـاس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر بسبب فتنة الشيطان لهم وملازمته إياهم، فقال تعالى ﴿وماذا عليهم﴾ أي أي شيء يضرهم أو أي أذى يلحقهم في العاجل أو الآجل، لو صدقوا الله ورسوله وانفقوا في سبيل الله مما رزقهم الله، وفي الخطاب دعوة ربانية لهم لتصحيح إيمانهم واستقامتهم بالخروج من دائرة النفاق التي أوقعهم فيها القرين عليه لعائن الله، فلذا لم يذكر تعالى وعيداً لهم، وإنما قال ﴿وكان الله بهم عليما، ﴾ وفي هذه تخويف لهم من سوء حالهم إذا استمروا على نفاقهم فإن علم الله بهم يستوجب الضرب على أيديهم إن لم يتوبوا.

---

(١) أصل ﴿اعتدنا﴾: أعددنا، أبدلت الدال الأولى تاء لثقل الدالين عند فك الإدغام، أمّا مع الإدغام فلا ابدال نحو: أعدّ، ومنه العتاد الحربي: وهو عدّة السِّلاح.

(٢) أو فقرينهم الشيطان.

(٣) ماذا: اسم استفهام بمعنى: أي شيء، ويجوز أن تكون ما: مبتدأ، وذا خبره. وهو بمعنى: الذي.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ - تقرير عشرة حقوق والأمر بأدائها فورا وهي عبادة الله وحده والاحسان بالوالدين، وإلى كل المذكورين[١] في الآية الأولى.

٢ - ذم الاختيال[٢] الناجم عن الكبر وذم الفخر وبيان كره الله تعالى لهما.

٣ - حرمة البخل[٣] والأمر به وحرمة كتمان العلم وخاصة الشرعي منه.

٤ - حرمة الرياء وذم صاحبها.

٥ - ذم قرناء السوء لما يأمرون به ويدعون إليه قرناءهم حتى قيل:

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينة   فكل قرين بالمقارن يقتدى.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ[٤] ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات:

الظلم : وضع شيء في غير موضعه.

---

(١) أخص المملوك بذكر ما ورد فيه ففي مسلم يقول ﷺ: «للمملوك طعامه وشرابه وكسوته، ولا يكلّف من العمل مالا يطيق» وقال: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي بل ليقل فتاي وفتاتي» وفى هذا مراعاة لجانب التوحيد، ومراعاة لشعور المملوك حتى لا يرى أنه مهان مستضعف. وقال ﷺ في فضل العبد الصالح للعبد المملوك المصلح أجران.

(٢) الاختيال من أكبر الذنوب، وفي الحديث الصحيح: «إن الله لا ينظر إلى من جرّ ثوبه خيلاء».

(٣) شاهده قوله ﷺ: «وأيّ داء أدوأ من البخل» وقال: «إيّاكم والشحّ فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا» وفي رواية «حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم».

(٤) نصب ﴿مثقال﴾ على المفعولية المطلقة إذ التقدير: «لا يظلمون ظلماً مقدّراً بمثقال ذرة والمثقال: ما يظهر به الثقل فهو كاسم الألة (مفعال) والمراد به: المقدار، والذرّة بيضة النملة.

مثقال ذرة	: المثقال: الوزن مأخوذ من الثقل فكل مايوزن فيه ثقل، والذرة أصغر حجم في الكون حتى قيل إنه الهباء أو رأس النملة.
الحسـنة	: الفعلة الجميلة من المعروف.
يضاعفها	: يريد فيها ضعفها.
من لدنه	: من عنده.
أجرا عظيما	: جزاء كبيرا وثواباً عظيما
الشهيد	: الشاهد على الشىء لعلمه به
يـــود	: يحب
تسوى بهم الأرض	: يكونون تراباً مثلها.
ولا يكتمون الله حديثا	: أي لا يخفون كلاماً.

معنى الآيـات:

لما أمر تعالى في الآيات السابقة بعبادته والإحسان إلى من ذكر من عباده. وأمر بالانفاق في سبيله، وندد بالبخل والكبر والفخر، وكتمان العلم، وكان هذا يتطلب الجزاء بحسبه خيراً أو شراً ذكر في هذه الآية (٤٠) ﴿إن الله لا يظلم[1] مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيمًا﴾، ذكر عدله في المجازاة ورحمته، فأخبر أنه عند الحساب لا يظلم عبده وزن ذرة وهي أصغر شيء وذلك بأن لا ينقص من حسناته حسنة، ولا يزيد في سَيِّئاتِهِ سيئة، وان توجد لدى مؤمن حسنة واحدة يضاعفها بأضعاف يعلمها هو ويعط من عنده بدون مقابل أجراً عظيما لايقادر قدره فلله الحمد والمنة هذا ماتضمنته الآية الأولى (٤٠) أما الآية الثانية (٤١) فإنه تعالى لما ذكر الجزاء والحساب الدال عليه السياق ذكر مايدل على هول يوم الحساب وفظاعة الأمر فيه، فخاطب رسوله ﷺ قائلا: ﴿فكيف[2] إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟﴾ ومعنى الآية الكريمة فكيف تكون حال أهل الكفر والشر والفساد إذا جاء الله تعالى بشهيد من كل أمة ليشهد[3] عليها فيما أطاعت وفيما عصت

(١) روي عن ابن مسعود وابن عباس أنّ هذه الآية إحدى آيات هي خير مما طلعت عليه الشمس، ووجه ذلك في حديث الشفاعة في صحيح مسلم إذ فيه: «ثم يقول لهمارجعوافمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيرا ثم يقولون ربّنا لم نذر فيها ـ أي النار ـ خيرا».

(٢) كيف: فتحت فاؤها لالتقاء الساكنين إذ المفروض فيها أنها ساكنة وهي هنا في محل نصب إذ التقدير: تكون حالهم كيف؟

(٣) هو رسولها الذي أرسل إليها.

ليتم الحساب بحسب البينات والشهود والجزاء بحسب الكفر والإيمان والمعاصي والطاعات، وجئنا بك أيها الرسول الخليل ﷺ شهيداً على هؤلاء أى على أمته ﷺ من آمن به ومن كفر إذ يشهد أنه بلغ رسالته وأدى أمانته ﷺ. هذا ماتضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٤٢) فإنه تعالى لما ذكر ما يدل على هول يوم القيامة في الآية (٤١) ذكر مثلا لذلك الهول وهو أن الذين كفروا يودون وقد عصوا الرسول لويسوون بالأرض فيكونون تراباً حتى لا يحاسبوا ولا يجزوا بجهنم. وأنهم في ذلـك اليوم لا يكتمـون الله كلامـا؛ إذ جوارحهم تنطق فتشهد عليهم. قال تعالى ﴿يومئذ﴾ أى يوم يؤتى من كل أمة بشهيد ﴿يود الذين كفروا لو تسوى[1] بهم الأرض﴾ فيكـونون تراباً مثلها.[2] مرادهم أن يسووا هم بالأرض فيكونون ترابا وخرج الكلام على معنى أدخلت رأسي في القلنسوة والأصل أدخلت القلنسوة في رأسي وقوله ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ اخبار عن عجزهم عن كتمان شيء عن الله تعالى لأن جوارحهم تشهد عليهم بعد أن يختم على أفواههم، كما قال تعالى من سورة يس ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ بيان عدالة الله تعالى ورحمته ومزيد فضله.

٢ ـ بيان هول يوم القيامة حتى إن الكافر ليود أن لو سويت به الأرض فكان تراباً.

٣ ـ معرفة رسول الله ﷺ بآثار الشهادة على العبد يوم القيامة إذ أخبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رسول الله ﷺ يوماً « إقرأ عليَّ القرآن فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقـال: أحب أن أسمعه من غيري قال: فقرأت ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ حتى وصلت هذه الآية ﴿ فكيف[3] إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ الآية وإذا عينا رسول الله ﷺ تذرفان الدموع[4] وهو يقول: حسبك أي كفاك ماقرأت علّي ﴾.

---

(١) قرئت ﴿تَسَوَّى﴾ بتشديد كل من السين والواو مع فتح التاء في السبع، وقرئت أيضاً ﴿تسوى﴾ بفتح التاء وتخفيف السين، وتشديد الواو، وبضمّ التاء وتشديد الواو.

(٢) أي تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها، فتكون الباء بمعنى على، أي لو تسوى عليهم أي تنشق فتسوّى عليهم.

(٣) الاستفهام للتعجب من حال الناس في عرصات القيامة، وقد جيىء بالشهود، وأزلفت الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين.

(٤) إن بكاء الرسول ﷺ هنا لسببين: الأول: المسرة التي نالته بتشريف الله تعالى له في هذا المشهد العظيم حيث يؤتى به شهيداً على أمته، لا يعرف عدد أفرادها إلاّ الله خالقها، ويدخل الجنة بشهادته عدد لا يحصى، والثاني: الأسى والأسف الذي يلحقه من رؤيته أعداداً هائلة من أمته يدخلون النار بشهادته عليهم، والبكاء يكون للمسرة والحزن معاً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

شرح الكلمـات :

لا تقربوا : لاتدنوا كناية عن الدخول فيها، أو لا تدنوا من مساجدها.

سكارى : جمع كسران وهو من شرب مسكراً فستر عقله وغطاه.

تعلموا ما تقولون : لزوال السكر عنكم ببعد شربه عن وقت الصلاة وهذا كان قبل تحريم الخمر وسائر المسكرات.

ولا جنباً[1] : الجنب: من به جنابة وللجنابة سببان جماع، أو احتلام.

عابري سبيل[2] : مارين بالمسجد مروراً بدون جلوس فيه.

الغائط : المكان المنخفض للتغوط: أي التبرز فيه.

لامستم النساء : جامعتموهن.

فتيمموا صعيداً طيباً : اقصدوا تراباً طاهراً.

عفواً غفوراً : عفواً: لا يؤاخذ على كل ذنب، غفوراً: كثير المغفرة لذنوب عباده التائبين إليه.

معنى الآية الكريمة:

لا شك أن لهذه الآية سبباً نزلت بمقتضاه وهو أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

(١) ﴿ولا جنباً﴾ هذا معطوف على محل جملة ﴿حتى تعلموا﴾ أي لا تصلوا وقد أجنبتم، لفظ الجنب لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع لأنه على وزن المصدر كالقرب والبعد يقال: هو جنب وهي جنب، وهم جنب وهن جنب بلا فرق.

(٢) يقال: عبرت الطريق: إذا قطعته من جانب إلى جانب آخر، وعبرت النهر كذلك، والمعبر: ما يعبر عليه من سفينة ونحوها، وناقة عبر أسفار: لا يزال يسافر عليها ويقطع بها الفلاة والهاجرة لسرعة مشيها.

حسب رواية الترمذي أقام مأدبة لبعض الأصحاب فأكلوا وشربوا وحضرت الصلاة فقاموا لها وتقدم أحدهم يصلي بهم فقرأ بسورة الكافرون وكان ثملان فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وهذا باطل وواصل قراءته بحذف حروف النفي فنزلت ﴿يا أيها الذين[1] آمنوا . . . . ﴾ أي يامن صدقتم بالله ورسوله، ﴿ لا تقربوا الصلاة﴾ أي لا تدخلوا فيها، والحال أنكم سكارى من الخمر إذ كانت يومئذ حلالاً غير حرام، حتى تكون عقولكم تامة تميزون بها الخطأ من الصواب فتعلموا ماتقولون في صلاتكم. ولا تقربوا مساجد الصلاة للجلوس فيها وأنتم جنب حتى تغتسلوا اللهم إلا من كان منكم عابر سبيل، إذ كانت طرق بعضهم إلى منازلهم على المسجد النبوي. ﴿وإن كنتم مرضى﴾ بجراحات يضرها الماء أو مرضى مرضاً لا تقدرون معه على استعمال الماء للوضوء أو الغسل، أو كنتم ﴿على سفر[2] أو جَاءَ أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء﴾ بمضاجعتهن أو مسستموهن بقصد الشهوة ﴿فلم تجدوا ماءً﴾ تغتسلون به إن كنتم جنباً أو تتوضأون به إن كنتم محدثين حدثاً أصغر ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ أي اقصدوا تراباً طاهراً ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مرة واحدة فإن ذلك مجزيء لكم عن الغسل والوضوء فإن صح المريض أو وُجد الماء فاغتسلوا أو توضأوا ولا تيمموا لا نتفاء الرخصة بزوال المرض أو وجود الماء. وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ إن الله كان عفواً غفورا ﴾ يخبر تعالى عن كماله المطلق فيصف نفسه بالعفو عن عباده المؤمنين إذا خالفوا أمره، وبالمغفرة لذنوبهم إذا هم تابوا إليه، ولذا هو عز وجل لم يؤاخذهم لما صلّوا وهم سكارى لم يعرفوا مايقولون، وغفر لهم وأنزل هذا القرآن تعليمًا لهم وهداية لهم.

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ ـ تقرير مبدأ النسخ للأحكام الشرعية في القرآن والسنة.

٢ ـ حرمة مكث الجنب[3] في المسجد، وجواز العبور والاجتياز بدون مكث.

---

(١) روى أبو داود في سننه أنه لما نزلت آية البقرة: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ قال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافيا، ولما نزلت هذه الآية من النساء قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافيا، ولما نزلت آية المائدة ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال: انتهينا يا ربّنا.

(٢) هل السفر مبيح للتيمم وإن وجد الماء؟ الجواب: لا، وإنما ذكر السفر لأن الغالب فيه أن لا يوجد ماء، أمّا الحضر فالماء فيه قلّما ينقطع ولا يوجد.

(٣) يحرم قراءة القران على الجنب لحديث ابن ماجه وغيره «لا يقرأ الجنب والحائض شيئا من القرآن»، وحديث الدارقطني «كان رسول الله ﷺ لا يحجبه عن قراءة القران شيء إلاّ أن يكون جنباً».

٣ ـ وجوب الغسل على الجنب وهو من قامت به جنابة بأن احتلم فرأى الماء أو جامع أهله فأولج ذكره[١] في فرج امرأته ولو لم ينزل ماءً.

وكيفية الغسل: أن يغسل كفيه قائلاً: بسم الله ناوياً رفع الحدث الأكبر ثم يستنجي فيغسـل فَرْجَيْهِ وما حولهما، ثم يتوضأ فيغسل كفيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ويستنشق الماء، ويستنثره ثلاثاً، ثم يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه وأذنيه مرة واحدة ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ثم يغمس كفيه في الماء ثم يخلل أصول شعر رأسه، ثم يحثو الماء على رأسـه يغسله بكـل حثوة، ثم يفيض الماء على شقه الأيمن يَغْسِلُه، ثم على شقه الأيسر يَغْسِلُه. من أعلاه إلى أسفله، ويتعهد بالماء إبطيه وكل مكان من جسمه ينبو عنه الماء كالسرة وتحت الركبتين.[٢]

٤ ـ إذا لم يجد المرء التراب لمطر ونحوه تيمم بكل أجزاء الأرض[٣] من رمل وسبخة وحجارة والتيمم هو أن يضرب بكفه الأرض ثم يمسح وجهه وكفيه بهما لحديث عمار رضي الله عنه في الصحيح.

٥ ـ بيان عفو الله وغفرانه لعدم مؤاخذة من صلوا وهم سكارى.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ

(١) لحديث مسلم: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومسّ الختان الختان فقد وجب الغسل» أمّا حديث مسلم: إنّما الماء من الماء» فمنسوخ بالحديث المذكور أعلاه، وعلى هذا جماهير الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة.

(٢) لحديث: «تحت كل شعرة جنابة اغسلوا الشعر وانقوا البشرة» قال ابن عيينة: المراد وأنقوا البشرة: غسل الفرجين وتنظيفهما.

(٣) الإجمـاع على جواز التيمم بالتراب المنبت الطاهر، غير المنقول ولا المغصوب، والإجماع على عدم الجواز على الذهب، والفضة والياقوت، والزمرد، والأطعمة كالخبز واللحم وغيرهما وكذا النجاسات واختلف في غير ما ذكر كالحجارة والسبخة، والرمل وما إلى ذلك.

وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾

شــرح الكلمـات :

ألم تر	: ألم تبصر أي بقلبك أي تعلم .
نصيبــاً	: حظاً وقسطاً .
يشترون الضلالة	: أي الكفر بالايمان .
الأعداء	: جمع عدو وهو من يقف بعيداً عنك يود ضرك ويكره نفعك .
هــادوا	: أي اليهود قيل لهم ذلك لقولهم : ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا ورجعنا .
يحرفون	: التحـريف: الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل
الكلم	: الكلام وهو كلام الله تعالى في التوراة .
واسمع غير مسمع	: أي اسمع ماتقول لا أسمعك الله . وهذا كفر منهم صريح .
وطعناً في الدين	: سبهم للرسول ﷺ هو الطعن الأعظم في الدين .
وانظرنا	: وأمهلنا حتى نسمع فنفهم .
أقوم	: أعدل وأصوب .
لعنهم الله بكفرهم	: طردهم من رحمته وأبعدهم من هداه بسبب كفرهم برسول الله ﷺ .

معنى الآيات :

روي أن هذه الآيات نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت أحد عظماء اليهود بالمدينة ، كان إذا كلم رسول ﷺ لَوَى لسانه وقال راعنا سمعك يامحمد حتى نفهمك ، ثم طعن في الاسلام وعابه فأنزل الله تعالى هذه الآيات الثلاث إلى قوله ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً ، ﴾ وهذا شرحها : قولـه تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون[1] الضلالة ويريدون أن

(١) جملة : ﴿يشترون﴾ في محل نصب حالية ، وهي بضميمة جملة﴿أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ فيكون مثار العجب في نفس السامع ، لأنّ اشتراء العالم الضلالة أمر عجب بلا شك .

تضلوا السبيل ﴾ أي ألم ينته إلى علمك وإلى علم أصحابك مايحملكم على التعجب: العلم بالذين أتوا نصيباً من الكتاب وهم رفاعة بن زيد وإخوانه من اليهود، أعطوا حظاً من التوراة فعرفوا صحة الدين الإسلامي، وصدق نبيه ﷺ ﴿يشترون الضلالة﴾ وهو الكفر يشترونها بالايمان، حيث جحدوا نعوت النبي وصفاته في التوراة للإبقاء على مركزهم بين قومهم يسودون ويتفضلون، ويريدون مع ذلك أن تضلوا أيها المؤمنون السبيل سبيل الحق والرشد وهو الإيمان بالله ورسوله والعمل بطاعتهما للإسعاد والإكمال. ﴿والله أعلم[1] بأعدائكم﴾ الذين يودون ضركم ولا يودون نفعكم، ولذا أخبركم بهم لتعرفوهم وتجتنبوهم فتنجوا من مكرهم وتضليلهم. ﴿وكفى بالله ولياً﴾ لكم تعتمدون عليه وتفوضون أموركم إليه ﴿ وكفى بالله نصيراً ﴾ ينصركم عليهم وعلى غيرهم فاعبدوه وتوكلوا عليه. ﴿من[2] الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ أي هم من اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، والكلام هو كلام الله تعالى في التوراة وتحريفه بالميل به عن القصد، أو بتبديله وتغييره تضليلاً للناس وإبعاداً لهم عن الحق المطلوب منهم الإيمانُ به والنطقُ والعمل به. ويقولون للنبي ﷺ كفراً وعناداً ﴿ سمعنا وعصينا[3]، واسمع غير مسمَع[4] ﴾ أي لا أسمعك الله ﴿وراعنا﴾ وهي كلمة ظاهرها أنها من المراعاة وباطنها الطعن في رسول الله ﷺ إذ اليهود يعدونها من الرعونة يقولونها لرسول الله ﷺ سباً وشتماً له قبحهم الله ولعنهم وقطع دابرهم وقوله تعالى: ﴿ لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ﴾ أي يلوون ألسنتهم بالكلمة التي يسبون بها حتى لا تظهر عليهم، ويطعنون بها رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ﴾ أي انتظرنا بدل راعنا لكان خيراً لهم وأقوم أي أعدل وأكثر لياقة وأدباً ولكن لا يقولون هذا لأن الله تعالى لعنهم وحرمهم من كل توفيق بسبب كفرهم ومكرهم فهم لايؤمنون إلا قليلاً. أي إيماناً لا ينفعهم لقلته فهو لا يصلح أخلاقهم ولا يطهر نفوسهم ولايهيئهم للكمال في الدنيا ولا في الآخرة.

---

(١) جملة اعتراضية وهي تحمل التعريض بأنّ إرادة اليهود تضليل المسلمين ناجمة عن عداوة وحسد للمسلمين.

(٢) ﴿من الذين هادوا﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا جماعة يحرفوه الكلم عن مواضعه ومِنْ تبعيضية.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما إنّهم كانوا يقولون: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

(٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ مرادهم من قولهم: ﴿واسمع غير مسمع﴾ اسمع لا سمعت.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان مكر اليهود بالمؤمنين بالعمل على إضلالهم في عهد النبوة وإلى اليوم.

٢ ـ في كفاية الله للمؤمنين ونصرته مايغنيهم أن يطلبوا ذلك من أحد غير ربهم عز وجل.

٣ ـ الكشف عن سوء نيات وأعمال اليهود إزاء رسول الله ﷺ.

٤ ـ الإيمان[1] القليل لا يجدي صاحبه ولا ينفعه بحال.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

شـرح الكلمـات:

أوتوا الكتاب	: اليهود والنصارى، والمراد بهم هنا اليهود لا غير.
بمانزلنا مصدقاً	: القرآن.
نطمس وجوها	: نذهب آثارها بطمس الأعين وإذهاب أحداقها.
فنردها على أدبارها	: نجعل الوجه قفا، والقفا وجهاً.
كما لعنا أصحاب السبت	: لعنهم مسخهم قردة خزياً لهم وعذاباً مهيناً.
وكان أمر الله مفعولاً	: أمر الله: مأموره كائن لا محالة لأنه تعالى لا يعجزه شيء.

معنى الآية الكريمة:

مازال السياق في اليهود المجاورين للرسول ﷺ بالمدينة ففي هذه الآية ناداهم[2] الله تبارك

---

(١) شاهده قوله تعالى: ﴿فلا يؤمنون إلاّ قليلا﴾ هذا يصح إن كانت الجملة دالّة على شيء من الإيمان أمّا على رأي من يرى أنّ الكلام دالّ على نفي الإيمان بالكليّة فلا دليل في الآية على أنّ قليل الإيمان لا ينفع.

(٢) قال القرطبي قال ابن اسحق: كلّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبدالله بن صوريا وكعب بن أسد وقال لهم: «يا معشر يهود: اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أنّ الذي جئتكم به الحق. قالوا ما نعرف ذاك يا محمد» وجحدوا ما عرفوا وأصرّوا على الكفر فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾.

وتعالى بعنوان العلم والمعرفة وهو نسبتهم إلى الكتاب الذي هو التوراة آمراً إياهم بالإيمان بكتابه أي بالقرآن الكريم وبمن أنزله عليه محمد ﷺ إذ الإيمان بالمنزَّل إيمان بالمنزِّل عليه ضمناً. فقال: ﴿آمنوا﴾ بالفرقان المصدق لما معكم من أصول الدين ونعوت الرسول والأمر بالإيمان به ونصرته خفّوا إلى الإيمان واتركوا التردد من قبل أن يحل بكم ما حل ببعض أسلافكم حيث مسخوا قردة وخنازير ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾[1] فنذهب حدقة أعينها وشاخص أنوفها ونُغلق أفواهها فتصبح الوجوه أقفاء، والأقفاء وجوهاً يمشون القهقراء وهو معنى قوله: ﴿ فنردها على أدبارها، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ أي الذين اعتدوا منكم في السبت حيث صادوا فيه وهو محرم عليهم فمسخهم قردة خاسئين. ﴿وكان أمر الله﴾ أي مأموره ﴿مفعولاً﴾ ناجزاً، لايتخلف ولا يتأخر لأن الله تعالى لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

هداية الآية

من هداية الآية

١ ـ المفروض أن ذا العلم يكون أقرب إلى الهداية، ولكن من سبقت شقوته لما يعلم الله تعالى من اختياره الشر والإصرار عليه لا ينفعه العلم، ولا يهتدي به هؤلاء اليهود الذين دعاهم الله تعالى إلى الإيمان فلم يؤمنوا.

٢ ـ وجوب تعجيل التوبة قبل نزول العذاب وحلول ما لا يحب الإنسان من عذاب ونكال.

٣ ـ قد يكون المسخ في الوجوه بمسخ الأفكار والعقول فتفسد حياة المرء وتسوء وهذا الذي حصل ليهود المدينة. فنقضوا عهودهم فهلك من هلك منهم وأجلي من أجلي نتيجة إصرارهم على الكفر وعداء الرسول ﷺ والمؤمنين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ[2] وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

(١) قال مالك رحمه الله تعالى كان أول إسلام كعب الأحبار أنه مر برجل من الليل وهو يقرأ هذه الآية: ﴿يا أهل الكتاب. . .﴾ الخ فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقرى إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله لقد خفت ألا ابلغ بيتي حتى يطمس وجهي.

(٢) روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما في القرآن آية أحبّ إليّ من هذه الاية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قال: هذا حديث حسن غريب.

شــرح الكلمــات :

لا يغفر : لا يمحو ولا يترك المؤاخذة

أن يشرك به : أي يعبد معه غيره تأليهاً له بحبه وتعظيمه وتقديم القرابين له، وصرف العبادات له كدعائه والاستعانة به والذبح والنذر له.

ويغفر ما دون ذلك : أي ما دون الشرك والكفـر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركاً ولا كفراً.

لمن يشاء : أي لمن يشاء المغفرة له من سائر المذنبين بغير الشرك والكفر.

افترى إثمًا عظيمًا : افـترى: اختلق وكـذب كذباً بنسبته العبادة إلى غير الرب تعالى، والإثم: الذنب العظيم الكبير.

معنى الآية الكريمة :

يروى أنه لما نزل قول الله تعالى من سورة الزمر ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ قام رجل فقال والشرك يانبي الله؟ فكره ذلك رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به[١]، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ فأخبر تعالى عن نفسه بأنه لا يغفر الذنب المعروف بالشرك والكفر، وأما سائر الذنوب كبيرها وصغيرها فتحت المشيئة إن شاء غفرها لمرتكبها فلم يعذبه بها، وإن شاء آخذه بها وعذبه، وأن من يشرك به تعالى فقد اختلق الكذب العظيم إذ عبد من لايستحق العبادة وأله من لا حق له في التأليه فلذا هو قائل بالزور وعامل بالباطل، ومن هنا كان ذنبه عظيمًا.

هداية الآية الكريمة :

من هداية الآية :

١ ـ عظم ذنب[٢] الشرك و الكفر وأن كل الذنوب دونهما.

٢ ـ الشرك ذنب[٣] لا يغفر لمن مات بدون توبة منه.

---

(١) ومع ظهور سبب النزول فإنّ الآية تحمل تهديداً ووعيداً للناس شديدين، يفهم ذلك من حرف التعليل، وهو ﴿إنّ الله﴾ كأنه يقول: يا أيها الناس ادخلوا في الإسلام: إنّ الله لا يغفر أن يشرك به.

(٢) وجه عظم ذنب الشرك يدرك بما يلي: أوّلاً: أنّه ذنب لا يغفر إلاّ لمن تاب منه، ثانيا: أنّه محبط للعمل مهما كثر وعظم لقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين﴾.

(٣) يعرف الشرك: بأنه عبادة غير الله مع الله، ومن أنواع العبادة التعظيم، والرغبة والرهبة، والدعاء، والذبح والنذر، والركوع والسجود، والصيام والحلف، وهو من التعظيم.

٣ ـ سائر الذنوب دون الشرك والكفر لا ييأس فاعلها من مغفرة الله تعالى له وإنما يخاف.

٤ ـ الشرك زور وفاعله قائل بالزور فاعلٌ به.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم[1] بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

شــرح الكلمـات:

تزكية النفس : تبرئتها من الذنوب والآثام.

يزكي من يشاء : يطهر من الذنوب من يشاء من عباده بتوفيقه للعمل بما يزكي النفس، وإعانته عليه.

الفتيل : الخيط الأبيض يكون في وسط النواة، أو مايفتله المرء بأصبعيه من الوسخ في كفه أو جسمه وهو أقل الأشياء وأتفهها.

الكــذب : عدم مطابقة الخبر للواقع.

معنى الآيتين:

عاد السياق إلى الحديث عن أهل الكتاب فقال تعالى لرسوله والمؤمنين: ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ﴾ وهو أمر يحمل على العجب والاستغراب إذ المفروض أن المرء لا يزكي نفسه حتى يزكيه غيره فاليهود والنصارى قالوا ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾. وقالوا: ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وقالت اليهود لن تمسنا النار[2] إلا أياماً معدودات ﴾ إلى غير ذلك من الدعاوي الباطلة ولما أنكر تعالى عليهم هذا الباطل الذي يعيشون عليه فعاقهم عن الإيمان والدخول في الإسلام وأخبر تعالى أنه عز وجل هو الذي يزكي من يشاء من عباده وذلك بتوفيقه إلى الإيمان وصالح الأعمال التي تزكو عليها النفس البشرية فقال تعالى: ﴿ بل الله يزكي من يشاء، ولا يظلمون فتيلاً ﴾ أي أقل قليل فلا يزاد

---

(١) لا خلاف في أنّ المراد بالذين يزكّون أنفسهم في هذه الآية هم اليهود.

(٢) ومن جملة أقوالهم في تزكية نفوسهم بأفواههم قولهم: (لا ذنب لنا، وما فعلناه نهاراً يغفر لنا ليلا، وما فعلناه ليلاً يغفر لنا نهاراً، وقولهم نحن كالأطفال في عدم الذنوب، وثناء بعضهم على بعض.

في ذنوب العبد ولا ينقص من حسناته . ثم أمر الله تعالى رسوله أن يتعجب من حال هؤلاء اليهـود والنصـارى وهم يكذبون على الله تعالى، ويختلقون الكذب بتلك الدعاوي التي تقدمت آنفاً . وكفى بالكذب إثماً مبيناً . يغمس صاحبه في النار.

هدايـــة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ حرمة تزكية المرء نفسه[1] بلسانه والتفاخر بذلك إما طلباً للرئاسة، وإما تخلياً عن العبادة والطاعة بحجة أنه في غير حاجة إلى ذلك لطهارته ورضي الله تعالى عنه .

٢ ـ الله يزكي عبده بالثناء عليه في الملأ الأعلى، ويزكيه بتوفيقه وإيمانه للعمل بما يزكي من صلاة وصدقات وسائر الطاعات المشروعة لتزكية النفس البشرية وتطهيرها .

٣ ـ عدالة الحساب والجزاء يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ ولا يظلمون فتيلاً ﴾ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ[2] ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

(١) روى مسلم عن عمر بن عطاء قال سميت ابنتي برّة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة إنّ رسول الله ﷺ نهى عن هذا الإسم وسميت برّة فقال رسول الله ﷺ «أتزكون أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا بم نسميها؟ فقال سمّوها زينب» قال الدارقطني فدل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه ويجري هذا المجرى ما قد كثر في هذه الديار المصرية من نعت أنفسهم بالنعوت التي تقتضي التزكية، كزكي الدين ومحي الدين، وما أشبه ذلك لكن لمّا كثرت قبائح المسلمين بهذه الأسماء ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها فصارت لا تفيد شيئا .

(٢) آل إبراهيم : هم ذريته من أولاد وأحفاد وما تناسل منهم كداود وسليمان ومَن بعدهم .

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

شـــرح الكلمـات :

الجبت والطاغوت : الجبت[1] : اسم لكل ما عبد من دون الله وكذا الطاغوت سواء كانا صنمين أو رجلين.

أهدى سبيلاً : أكثر هداية في حياتهما وسلوكهما.

نقـيراً : النقير: نُقْرَةٌ في ظهر النواة يضرب بها المثل في صغرها.

الحســد : تمني زوال النعمة عن الغير والحرص على ذلك.

الحكـمة : الســداد في القول والعمل مع الفقه في أسرار التشريع الإلهي.

معنى الآيات :

روى أن جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ذهبوا إلى مكة يحزبون الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ فلما نزلوا مكة قالت قريش: نسألهم فإنهم أهل كتاب عن ديننا ودين محمد أيهما خير؟ فسألوهم فقالوا لهم دينكم خير من دين محمد وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله ﴿عظيما﴾. وهذا شرحها: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت[2] والطاغوت﴾ الم ينته إلى علمك أيها الرسول أن الذين أوتوا حظا من العلم بالتوارة يصدقون بصحة عبادة الجبت والطاغوت ويقرون عليها ويحكمون بأفضلية عبادتها على عبادة الله تعالى ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ وهم مشركوا قريش: دينكم خير من دين محمد وأنتم أهدى طريقا في حياتكم الدينية والاجتماعية ألم يك موقف هؤلاء اليهود مثار الدهشة والاستغراب والتعجب لأهل العِلْم والمعرفة بالدين الحق إذ يُقِرُّون الباطل ويصدقون به؟ ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ أولئك الهابطون في حمأة الرذيلة البعيدون في أغوار الكفر والشر والفساد لعنهم الله فأبعدهم عن ساحة الخير والهدى، ﴿ومن

---

(١) وقيل الجبت: الساحر بلغة الحبشة، والطاغوت الكاهن عن ابن عباس، وأبي جبير وأبي العالية، وقال عمر رضي الله عنه: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وقال مالك الطاغوت ما عبد من دون الله وقيل هما كل ما عبد من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن وهو ما ذكرناه في التفسير.

(٢) أخرج أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «الطرق، والطيرة، والعيافة من الجبت» والمراد من الطرق: الخط بخطٍّ في الأرض للبحث عن معرفة ما يحدث للإنسان، والعيافة: زجر الطير للتشاؤم والتيمّن والطيرة: التطيّر، وأصل الجبت: الجبس وهو مالا خير فيه.

يلعن الله فلن تجد له﴾ يارسـول ﴿نصيرا﴾ ينصره من الخذلان الذي وقع فيه والهزيمة الروحية التي حلت به فأصبح وهوالعالم يبارك الشرك ويفضله على التوحيد

ثم قال تعالى في الآية (٥٣) ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذاً[1] لا يؤتون الناس نقيراً ﴾. أي ليس لهم نصيب من الملك كما يدعون فالاستفهام للانكار عليهم دعوة أن الملك يؤول إليهم، وهم لشدة بخلهم لو آل الملك لهم لما أعطوا أحداً أحقر الأشياء وأتفهها ولو مقدار نقرة نواة وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بلازم الجهل وهو تفضيلهم الشرك على التوحيد. وقوله تعالى: ﴿ أم يحسدون[2] الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ أم بمعنى بل كسابقتها للاضراب - الانتقالي من حال سيئة إلى أخرى، والهمزة للإنكار ينكر تعالى عليهم حسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين على النبوة والدولة، وهو المراد من الناس وقوله تعالى﴿فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب ﴾ كصحف ابراهيم والتوراة والزبور والانجيل«والحكمة»التي هي السنة التي كانت لأولئك الأنبياء يتلقونها وحياً من الله تعالى وكلها علم نافع وحكم صائب سديد والملك العظيم هو ما كان لدواد وسليمان عليهما السلام كل هذا يعرفه اليهود فلم لايحسدون من كان لهم ويحسدون محمداً والمسلمين والمراد من السياق ذم اليهود بالحسد كما سبق ذمهم بالبخل والجهل مع العلم.

وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ﴾ يريد أن من اليهود المعاهدين للنبي ﷺ مَنْ آمن بالنبي[3] محمد ورسالته، وهم القليل، ﴿ومنهم من صد عنه﴾ أي انصرف وصرف الناس عنه وهم الأكثرون ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾ لمن كفر حسداً وصد عن سبيل الله بخـلا ومكـراً، أي حسبه جهنم ذات السعير جزاءً له على الكفر والحسد والبخل. والعياذ بالله تعالى.

---

(١) إذاً: هنا ملغاة فلم تنصب المضارع بعدها وذلك لدخول فاء العطف عليها ولو نصب وكان في غير القرآن بها لجاز النصب، قال سيبويه: (إذاً) في عوامل الأفعال بمنزلة ظنّ في عوامل الأسماء، أي تلغي ولا تعمل إذا لم يكن الكلام معتمداً عليها.

(٢) الحسد: كبيرة من كبائر الذنوب لأنّه اعتراض على الله فيما قسمه بين عباده وورد فيه أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب قيل فيه: إنه أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي الله به في الأرض، إذ حسد إبليس آدم في السماء وحسد قابيل هابيل في الأرض.

(٣) وجائز أن يكون الضمير عائداً إلى إبراهيم عليه السلام أو إلى الكتاب وما ذكرناه في التفسير هو الحق.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب الكفر بالجبت والطاغوت.

٢ ـ بيان مكر اليهود وغشهم وأنهم لايتورعون عن الغش والكذب والتضليل.

٣ ـ ذم الحسد والبخل.

٤ ـ إيمان بعض اليهود بالإسلام، وكفر أكثرهم مع علمهم بصحة الإسلام ووجوب الإيمان به والدخول فيه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

شـرح الكلمـات :

نصليهم ناراً [1]	: ندخلهم ناراً يحترقون بها.
نضجت جلودهم [2]	: اشتوت فتهرت وتساقطت.
ليذوقوا العذاب	: ليستمر لهم العذاب مؤلماً.
عزيزا حكيما	: غالبا، يعذب من يستحق العذاب.
تجري من تحتها الأنهار	: تجري من خلال اشجارها وقصورها الأنهار.
مطهرة	: من الأذى والقذى مطلقا
ظلا ظليلا [3]	: الظل الظليل: الوارف الدائم لا حر فيه ولا برد به.

---

(١) يقال: صلاه يصليه صليا، وأصلاه إصلاء: أي اللحم إذا شواه على النار، ويقال فلان نضج الرأي أي محكه.

(٢) يقال: نضج الشواء إذا بلغ حدّ الشي.

(٣) صفة مؤكدة، كيوم أيوم، وليل أليل، والظليل: هو السَّجْسَج الذي لا حرّ فيه ولا قرّ.

معنى الآيتين :

على ذكر الإيمان والكفر في الآية السابقة ذكر تعالى في هاتين الآيتين الوعيد والوعد الوعيد لأهل الكفر والوعد لأهل الإيمان فقال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً﴾ يريد يدخلهم نار جهنم يحترقون فيها ويصطلون بها ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ تهرت وسقطت بدلهم[1] الله تعالى فوراً جلوداً غيرها ليتجدد ذوقهم للعذاب وإحساسهم به، وقوله تعالى ﴿إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ تذييل المقصود منه إنفاذ الوعيد فيهم، لأن العزيز الغالب لا يعجز عن إنفاذ ماتوعد به أعداءه، كما أن الحكيم في تدبيره يعذب أهل الكفر به والخروج عن طاعته هذا ماتضمنته الآية الأولى (٥٦) من وعيد لأهل الكفر.

وأما الآية الثانية (٥٧) فقد تضمنت البشرى السارة لأهل الإيمان وصالح الأعمال، مع اجتناب الشرك والمعاصي فقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي بعد تركهم الشرك والمعاصي ﴿ سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين[2] فيها وأزواج مطهرة ﴾ يريد نساء من الحور العين مطهرات من كل مايؤذي أو يُخل بحسنهن وجمالهن نقيات من البول والغائط ودم الحيض. وقوله تعالى : ﴿وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ وارفا كنيناً يقيهم الحر والبرد وحدث يوما رسول الله ﷺ عن الجنة فقال : «في الجنة شجرة تسمى[3] شجرة الخلد يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطع ظلها».

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ الكفر والمعاصي موجبات[4] للعذاب الأخروي.

٢ ـ بيان الحكمة في تبديل الجلود لأهل النار وهي أن يدوم إحساسهم بالعذاب.

٣ ـ الإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي موجبات للنعيم الأخروى.

---

(١) روي أنّ جلودهم تبدّل في الساعة مائة مرة، وروي أن هذه الآية تليت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر، للقارىء: أعدها، فأعادها عليه وعنده كعب فقال: يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير لها فذكر له أنه تبدّل في الساعة الواحدة مائة وعشرين مرّة.

(٢) ذكر هذا الخلود إعظاماً للمنة و﴿خالدين﴾ منصوب على الحال المقدرة أي حال كونِ خلودهم مقدراً فيها قبل دخولهم إيّاها.

(٣) ذكره ابن كثير عن تفسير هذه الآية.

(٤) وذلك لأنّ الكفر والشرك والمعاصي التي هي ترك الواجبات وفعل المحرّمات تدنس النفس فلا تصبح أهلاً لدخول الجنة لقوله تعالى : ﴿قد أفلح مَنْ زكّاها وقد خاب مَنْ دسّاها﴾.

٤ ـ الجنة دار النعيم خالية من كدرات الصفو والسعادة فيها.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

شــرح الكلمـات:

أن تؤدوا الأمانات[1] : أداء الأمانة: تسليمها إلى المؤتمن، والأمانات جمع أمانة وهي مايؤتمن عليه المرء من قول أو عمل أو متاع

العـــدل[2] : ضد الجور والانحراف بنقص أو زيادة.

نعمـا يعظكم : نعم شيء يعظكم أي يأمركم به أداء الأمانات والحكم بالعدل.

وأولي الأمر منكم : أولوا الأمر: هم الأمراء والعلماء من المسلمين.

تنازعتم في شـيء : اختلفتم فيه كل فريق يريد أن ينتزع الشيء من يد الفريق الآخر

ردوه إلى الله والرسول : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأحسن تأويلا : أحسن عاقبة، لأن تأويل الشيء مايؤول إليه في آخر الأمر.

معنى الآيتين:

روي أن الآية الأولى: ﴿ إن الله يأمركم[3] أن تؤدوا[4] الأمانات ﴾ نزلت في شأن عثمان بن

---

(١) الإجماع على وجوب رد الأمانات لأصحابها كفّاراً أو مؤمنين فجّاراً أو أبراراً.

(٢) العدل: وسط بين طرفين فإن مال لأحد الجانبين فقد جار وظلم ولم يعدل.

(٣) إنّ هنا لمجرد الاهتمام بالخبر، إذ مثل هذا الخبر لا يتطرق إليه الشك حتى يؤكّد لإزالته لأنه إخبار عن ايجاد شيء لا عن وجوده. فهو خبر كالإنشاء.

(٤) الأداء: مصدر أدّى المخفف المستغنى عنه بالمضعّف، أدّى يؤدي تأدية، إذا أوصل الشيء إلى طلبه ويتجوّز فيه فيطلق على الاعتراف بالشيء والوفاء به وذلك كقول الحق، وتبليغ العلم الشرعي، والمراد به هنا إيصال الشيء إلى صاحبه.

طلحة الحجبي[1] حيث كان مفتاح الكعبة عنده بوصفه سادناً[2] فطلبه رسول الله ﷺ منه صبيحة يوم الفتح فصلى في البيت ركعتين وخرج فقال العباس رضي الله عنه اعطينيه يارسول الله ليجمع بين السقاية والسدانة فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها فقرأ رسول الله ﷺ الآية على النـاس ودعـاعثمان بـن طلحة وأعطاه المفتاح. غير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذا فالآية في كل أمانة فعلى كل مؤتمن على شيء أن يحفظه ويرعاه حتى يؤديه[3] إلى صاحبه والآية تتناول حكام المسلمين أولا بقرينة ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ الذي هو القسط وضد الجور ومعناه إيصال الحقوق إلى مستحقيها من أفراد الرعايا. وقوله تعالى: ﴿ إن الله نعما يعظكم[4] به ﴾ يريد أن أمره تعالى أمة الإسلام حكاما ومحكومين بأداء الأمانات والحكم بالعدل هو شيء حسن، وهو كذلك إذ قوام الحياة الكريمة هو النهوض بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ فيه الحث على المأمور به بإيجاد ملكة مراقبة الله تعالى في النفس، فإن من ذكر أن الله تعالى يسمع أقواله ويبصر أعماله استقام في قوله فلم يكذب وفي عمله فلم يفرط. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٨)،

أما الآية الثانية (٥٩)، فإن الله تعالى لما أمر ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانات التي هي حقوق الرعية، وبالحكم بينهم بالعدل أمر المؤمنين المولي عليهم بطاعته وطاعة رسوله أولاً ثم بطاعة ولاة الأمور ثانيا فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾، والطاعة لأولى الأمر مُقيدة بما كان معروفاً للشرع أما في غير المعروف فلا طاعة في الاختيار لحديث: «إنما الطاعة في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». وقوله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول﴾ فهو خطاب عام للولاة والرعية فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك[5] إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فيما حكما فيه وجب قبوله حلواً كان أو مراً، وقوله تعالى: ﴿ إن كنتم تؤمنون

---

(١) المؤتمن إذا لم يفرّط وضاعت الأمانة منه فلا ضمان عليه إجماعاً لقوله ﷺ: «لا ضمان على مؤتمن» رواه الدارقطني، والعارية مؤداه أيضاً لحديث خطبة الوداع: «العارية مؤداة، والمنحة مردودة والدين مقضي، والزعيم غارم» أي ضامن.

(٢) أصل نعمّا: نعم، وكتبت معها ما بعد كسر عين نعم وتسكين ميمها وادغامها في ما هي إما موصولة أو نكرة موصوفة أو نكرة تامة، وأما الجملة بعد نعمّا فهي تجري بحسب ما يناسب معنى (ما).

(٣) الحجبي، نسبة إلى حجابة البيت على غير قياس.

(٤) السادن: الخادم للبيت وتسمى هذه المهنة: السدانة.

(٥) وذلك يستلزم الردّ إلى العلماء الفقهاء، إذ هم الذين يعرفون الأحكام ويحسنون استنباطها من الكتاب والسنة.

بالله واليوم الآخر﴾ فيه أن الإيمان يستلزم الإذعان لقضاء الله ورسوله، وهو يفيد أن رد الأمور المتنازع فيها إلى غير الشرع قادح في إيمان المؤمن وقوله: ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾، يريد ذلك الرد والرجوع بالمسائل والقضايا المختلف فيها إلى الكتاب والسنة هو خير حالاً ومآلا، لما فيه من قطع النزاع والسير بالأمة متحدة متحابة متعاونة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ وجوب رد الأمانات بعد المحافظة عليها.

٢ ـ وجوب العدل في الحكم وحرمة الحيف والجور فيه.

٣ ـ وجوب طاعة الله وطاعة الرسول وولاة المسلمين من حكام وعلماء[١] فقهاء، لأن طاعة الرسول من طاعة الله، وطاعة الوالي من طاعة الرسول ﷺ لحديث: «[٢]من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقط أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أمري فقد عصاني»[٣].

٤ ـ وجوب رد المتنازع فيه عقيدة أو عبادة أو قضاء إلى الكتاب والسنة ووجوب الرضا بقضائهما.

٥ ـ العاقبة الحميدة والحال الحسنة السعيدة في رد أمة الإسلام ماتتنازع فيه إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ

---

(١) قال سهل بن عبدالله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وان استخفوا بهذين فسدت دنياهم وأخراهم.

(٢) رواه الشيخان وكذا حديث: «إنّما الطاعة في المعروف» الخ.

(٣) روي في الصحيح أنّ عبدالله بن حذافة الأنصاري البدري وكان به دعابة بعثه رسول الله ﷺ على سرّية فأمرهم يوماً أن يجمعوا حطباً ويوقدوا ناراً ففعلوا ثم أمرهم أن يدخلوها محتجاً عليهم «بقوله ﷺ من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني» فلم يستجيبوا له وقالوا له إنّما آمنا وأسلمنا لننجو من النار فكيف نعذب أنفسنا بها وذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إنّما الطاعة في المعروف».

ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ[1] إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

شــرح الكلمـات :

يزعمــون : يقولون كاذبين.

بما أنزل إليك : القرآن، وما أنزل من قبلك : التوراة

الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة والمراد به هنا كعب بن الأشرف اليهودي أو كاهن من كهان العرب.

المنافقــين : جمع منافق : وهو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان خوفا من المسلمين.

يصــدون : يعرضون عنك ويصرفون غيرهم كذلك

مصيبة : عقوبة بسبب كفرهم ونفاقهم

إن يريدون : أي مايريدون

إلا احسانا : أي صلحاً بين المتخاصمين

وتوفيقا : جمعا وتأليفا بين المختلفين

فأعرض عنهم[2] : أي اصفح عنهم فلا تؤاخذهم

وعظهم : مرهم بما ينبغي لهم ويجب عليهم

قولا بليغا : كلاما قويا يبلغ شغاف قلوبهم لبلاغته وفصاحته.

---

(١) فكيف : خبر مبتدأ محذوف تقديره : حالهم كيف تكون حين تصيبهم مصيبة أي تكون عجباً لفرط حزنهم وبكائهم، وندمهم.

(٢) الإعراض : عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه مشتق من العُرض بضم العين وهو الجانب، ولعلّه مأخوذ من اعرض في الشيء إذا دخل فيه كأصبح في الصباح، فأعرض فلان عن فلان أي تنحى عنه جانبا أو أعطاه عرضه مدبراً عنه.

معنى الآيـات:

روي أن منافقاً ويهوديا[1] اختلفا في شيء فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد ﷺ لعلمه أنه يحكم بالعدل ولا يأخذ رشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فتحاكما إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي فنزلت[2] فيهما هذه الآية: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنـزل إليك﴾ والمـراد بهذا المنـافق، ﴿ومـا أنزل من قبلك﴾ والمراد به اليهودي والاستفهام للتعجب ألم ينته إلى علمك موقف هذين الرجلين ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ «كعب[3] بن الأشرف»، أو الكاهن الجهني، وقد أمرهم الله أن يكفروا به ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ حيث زين لهم التحاكم عند الكاهن أو كعب اليهودي.

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ ليحكم بينكم رأيت ياللعجب المنافقين يعرضون عنك اعراضا هاربين من حكمك غير راضين بالتحاكم إليك لكفرهم بك وتكـذيبهم لك ﴿فكيف إذا أصـابتهم مصيبة﴾ وحلت بهم قارعة بسبب ذنوبهم أيبقون معرضين عنك؟ أم ماذا؟ ﴿ثم جاءوك يحلفون بالله﴾ قائلين،[4] ماأردنا إلا الإحسان في عملنا ذلك والتوفيق بين المتخاصمين. هذا مادلت عليه الآيات الثلاث، وأما الرابعة وهي قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغـا ﴾ فإن الله تعـالى يشـير إليهم بأولئـك لبعدهم في الخسة والانحطاط فيقول ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ أي من النفاق والزيغ فهم عرضة للنقمة وسوء العذاب، ﴿فأعرض عنهم﴾ فلا تؤاخذهم،[5] ﴿وعظهم﴾ آمراً إياهم بتقوى الله والإسلام له ظاهـراً وبـاطنـاً مخوفـا إياهم من عاقبـة سوء أفعـالهم بترك التحاكم إليك وتحاكمهم إلى الطاغوت، وقل لهم في خاصة أنفسهم قولا بليغاً ينفذ إلى قلوبهم فيحركها ويذهب عنها غفلتها علهم يرجعون.

---

(١) صيغ الجمع الواردة في الآية مثل: ﴿يريدون أن يتحاكموا﴾ تشير إلى كثرة المنافقين، ومن أمثال اليهودي والمنافق صاحبي القصة التي نزلت الآية فيها.

(٢) روي أنّ المنافق لم يرض بحكم رسول الله ﷺ وذهب باليهودي إلى أبي بكر فحكم بحكم رسول الله ﷺ فلم يرض المنافق فذهب بخصمه اليهودي إلى عمر فذكر له اليهودي القصة فقال عمر للمنافق وهو يشير أكذا هو؟ قال: نعم. قال: رويدكما حتى أخرج إليكما، فدخل وأخذ السيف ثم ضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية وقال رسول الله ﷺ لعمر: أنت الفاروق.

(٣) قيل فيه طاغوت لأنّه ذو طغيان زائد في الظلم والشرّ والفساد.

(٤) هؤلاء هم قوم القتيل المنافق جاءوا يطالبون بدية أخيهم في النفاق، وقالوا الكثير أكثر مما ذكر في الآية وكل أقوالهم باطلة أملاها النفاق ولذا أمر الرسول بالاعراض عنهم.

(٥) أي لا تؤاخذهم فيما يبطنونه من الكفر ما داموا لم يظهروه علناً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا وُجد عالم بهما.

٢ ـ وجوب الكفر بالطاغوت أيا كان نوعه.

٣ ـ وجوب الدعوة إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة ووجوب قبولها.

٤ ـ استحباب الإعراض عن ذوي الجهالات، ووعظهم بالقول البليغ الذي يصل إلى قلوبهم فيهزها.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

بإذن الله : إذن الله : إعلامه بالشيء وأمره به.

ظلموا أنفسهم : بالتحاكم إلى الطاغوت وتركهم التحاكم إلى رسول الله ﷺ.

استغفروا الله : طلبوا منه أن يغفر لهم بلفظ اللهم اغفر لنا، أو استغفروا الله.

يحكموك : يجعلونك حكما بينهم ويفوضون الأمر إليك.

فيما شجر بينهم[1] : أي اختلفوا فيه لاختلاط وجه الحق والصواب فيه بالخطأ والباطل.

حرجا : ضيقاً وتحرُّجاً.

مما قضيت : حكمت فيه.

ويسلموا : أي يذعنوا لقبول حكمك ويسلمون به تسليمًا تاماً.

(١) شجر: اختلط واختلف، ومنه سمي الشجر شجراً لاختلاط أغصانه قال طرفة :
وهم الحكام أرباب الهدى وسعاة الناس في الأمر الشجر

معنى الآيتين :

بعـد تقـرير خطأ وضـلال من أرادا أن يتحاكما إلى الطاغوت كعب بن الأشرف اليهودي وهما اليهودي والمنافق في الآيات السابقة أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما أرسلَ رسُولاً مِن[1] رسله المئات إلا وأمـر المرسـل إليهم بطاعتـه واتبـاعـه والتحاكم إليه وتحكيمه في كل ما يختلفون فيه وذلك أمره وقضاؤه وتقديره فما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن كما أخبر تعالى أن أولئك الظالمين لأنفسهم بتحـاكمهم[2] إلى الـطاغـوت وصـدودهم عن التحـاكم إليك أيهـا الـرسول لَوْ جاءوك متنصلين من خطيئتهم مستغفـرين الله من ذنـوبهم واستغفرت لهم أنت أيها الرسول أي سألت الله تعالى لهم المغفرة لو حصل منهم هذا لدل ذلك على توبتهم وتاب الله تعالى عليهم فوجدوه عز وجل ﴿توابا رحيمًا﴾ . هذا معنى الآية (٦٤) ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما .

وأما الآية الثانية (٦٥) ﴿ فلا وربك لا يؤمنون[3] حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ فإن الله تعالى يقول ﴿فلا﴾ أي ليس الأمر كما يزعمون ، ثم يقسم تعالى فيقول ﴿وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ أيها الرسول أي يطلبون حكمك فيما اختلفوا فيه واختلط عليهم من أمورهم ثم بعد حكمك لايجدون في صدورهم أدنى شك في صحة حكمك وعدالته ، وفي التسليم له والرضا به وهو معنى الحرج المتبقي في قوله ، ﴿ ثم لايجدون في صدورهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ وجوب طاعة الرسول ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه .

٢ ـ بطلان من يزعم أن في الآية دليلا على جواز طلب الاستغفار[4] من الرسول ﷺ لأن

---

(١) مِنْ في الآية : ﴿وما أرسلنا مِنْ رسول﴾ مزيدة لتقوية الكلام وإفادة العموم .

(٢) تقدم أن الخطاب بصيغة الجمع وإن كان المتحاكمان اثنين فقط فإنّ الحكم عام فيهم وفي غيرهم فكل من يصدر عنه هذا النوع من الذنب فتوبته هي ما ذكر تعالى في هذه الآية .

(٣) قيل إن هذه الآية : ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ نزلت في الزبير والأنصاري في قضية سقي البستان إذ اختلفا وأتيا رسول الله ﷺ فقال ﷺ للزبير: «اسق يا زبير أرضك ثم أرسل الماء إلى أرض جارك» أي الأوّل فقال الأنصاري : أراك تحابي ابن عمتك ، فتلوّن وجه رسول الله ﷺ وقال للزبير: «اسق ثمّ احبس الماء حتى يبلغ الجدر» فنزلت الآية . والحديث في صحيح البخاري .

(٤) وذلك أنه لو كان كل مذنب لا يغفر له إلاّ إذا أتى الرسول ﷺ واستغفر له لما تاب أحد وللزم أن يبقى الرسول حياً ليستغفر للمذنبين بمثل هذا الذنب ، ولا قائل بها ولا يعقل ولم يشرع أبداً وكل حكاية ذكرت في هذه المسألة فهي باطلة .

قوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ الآية نزلت في الرجلين اللّذين أرادا التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي وإعراضهما عن رسول الله ﷺ فاشترط توبتهما إتيانهما لرسول الله ﷺ واستغفارهما الله تعالى، واستغفار الرسول لهما، وبذلك تقبل توبتهما، وإلا فلا توبة لهما أما من عداهما فتوبته لا تتوقف على إتيانه لرسول الله ﷺ ولا لاستغفاره له وهذا محل إجماع بين المسلمين.

٣ ـ كل ذنب كبر أو صغر يعتبر ظلمًا للنفس وتجب التوبة منه بالاستغفار والندم والعزم على عدم مراجعته بحال من الأحوال.

٤ ـ وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة وحرمة التحاكم إلى غيرهما.

٥ ـ وجوب الرضا[1] بحكم الله ورسوله والتسليم به.

وَلَوْ[2] أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ[3] أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ[4] أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

---

(١) قضى أهل العلم أنّ السيل إذا كان بسبب مطر فإنّ الأعلى يقدّم على الأسفل، فيسقي مَنْ وصل إليه السيل حتى يبلغ الماء الكعبين في أرضه ثم يرسل السيل كلّه إلى من تحته فيسقي ثم يرسل إلى من تحته وهكذا وهو قول المالكية مأخوذ من حكم رسول الله ﷺ فى قضية الزبير والانصاري وهو الحق.

(٢) لو: حرف امتناع لامتناع أي امتناع شيء لامتناع غيره، إذ امتنع القتل لامتناع الكتب به.

(٣) روي أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿ولو أنّا كتبنا﴾. قال أبو بكر الصديق: لو أمرنا لفعلنا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنّ من أمتى رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرّواسي».

(٤) (حسُن) مضمّن معنى التعجب فهو كنعم للمدح، أي مدح الحسن فيهم، وأولئك: فاعله، ورفيقا: منصوب على التمييز.

شـــرح الكلمـات :

كتبنا عليهم	: فرضنا عليهم وأوجبنا
أن اقتلوا أنفسكم	: أي قتل أنفسهم
مافعلوه إلا قليلٌ منهم	: أي ما فعل القتل إلا قليل منهم[1] .
مايوعظون به	: أي مايؤمرون به وينهون عنه
وأشد تثبيتا	: أي للإيمان في قلوبهم
الصديقين	: جمع صديق : وهو من غلب عليه الصدق في أقواله وأحواله لكثرة مايصدق ويتحرى الصدق .
والشهداء	: جمع شهيد : من مات في المعركـة ومثله من شهـد بصحـة الإسلام بالحجة والبرهان .
والصالحون	: جمع صالح : من أدى حقوق الله تعالى وأدى حقوق العباد، وصلحت نفسه وصلح عمله وغلب صلاحه على فساده .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن أولئكَ النفرِ الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فقال تعالى : ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾ أي بقتل بعضكم بعضا كما حصل ذلك لبني إسرائيل لَمَا فَعَلوا كما أنا لو كتبنا عليهم أن يخرجوا من ديارهم مهـاجرين في سبيلنا ﴿مافعلوه إلا قليل﴾ منهم. ثم قال تعالى داعيا لهم مرغبا لهم في الهداية : ﴿ولو أنهم فعلوا مايوعظون به﴾ أي مايذكرون به ترغيبا وترهيبا من أوامر الله تعالى لهم بالطاعة والتسليم لكان ذلك خيراً في الحال والمآل، ﴿وأشد تثبيتا﴾ للإيمان في قلوبهم وللطاعة على جوارحهم، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والحسنة تنتج حسنة، والسيئة تتولد عنها سيئة . ويقول تعالى : ﴿ وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما ﴾ يريد لو أنهم استجـابـوا لنـا وفعلوا ماأمـرنـاهم به من الـطاعات، وتركوا مانهيناهم عنه من المعاصي لأعطيناهم من لدنا أجراً عظيمًا يوم يلقوننا ولهدينـاهم في الدنيا ﴿صراطاً مستقيمًا﴾ الا وهو الإسلام الذي هو طريق الكمال والإسعاد في الحياتين وهدايتهم إليه هي توفيقهم للسير فيه

(١) قرىء : إلاّ قليلا بالنصب، وإلاّ قليل بالرفع، وقراءة الرفع مراعى فيها اللّفظ وهو أولى، لذا هي اكثر وأشهر.

وعدم الخروج عنه . هذا ما دلت عليه الآيات (٦٦ - ٦٧ - ٦٨) .

أما الآية (٦٩) وهي قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين[١] والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾فقد روى ابن جرير في تفسيره أنها نزلت حين قال بعض[٢] الصحابة يارسول الله ماينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك ﴾ الآية .

وما أنعم الله تعالى عليه هو الإيمان بالله تعالى ومعرفته عز وجل ومعرفة محابه ومساخطه والتوفيق لفعل المحاب وترك المساخط هذا في الدنيا، وأما ما أنعم به عليهم في الآخرة فهو الجوار الكريم في دار النعيم . والصديقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بكل ماجاء به رسول الله ﷺ وأخبر به والشهداء جمع شهيد وهو من قتل في سبيل الله والصالحون جمع صالح وهو من أدى حقوق الله تعالى وحقوق عباده كاملة غير منقوصة وقوله تعالى : ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ يريد[٣] وحسن أولئك رفقاء في الجنة يستمتعون برؤيتهم والحضور في مجالسهم ، لأنهم ينزلون إليهم ، ثم يعودون إلى منازلهم العالية ودرجاتهم الرفيعة . وقوله تعالى : ﴿ ذلك[٤] الفضل من الله﴾ يريد أن ذلك الالتقاء مع مَنْ ذكر تم لهم بفضل الله تعالى ، لا بطاعتهم . وقوله ﴿وكفى بالله عليما﴾ أي بأهل طاعته وأهل معصيته وبطاعة المطيعين ومعصية العاصين ، ولذلك يتم الجزاء عادلاً رحيما .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ - قد يكلف الله تعالى بالشاق للامتحان والابتلاء كقتل النفس والهجرة من البلد ولكن لا يكلف بما لا يطاق .

٢ - الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصيات .

---

(١) في هذه الآية إشارة أصرح من عبارة على خلافة أبي بكر لرسول الله ﷺ ، إذ ذكر تعالى الأنبياء ثم ثنى بالصديقين ، وقد أجمع المسلمون على تسمية أبي بكر بالصديق كما أجمعوا على تسمية محمد ﷺ بالنبي ، فدلّ على تعيين خلافة أبي بكر إذا لم يقدّم عليه أحد في الذكر سوى الأنبياء .

(٢) من بين القائلين ثوبان مولى رسول الله ﷺ وعبد الله بن زيد بن عبد ربّه الذي أُري الأذان في المنام .

(٣) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من نبيّ يمرض إلاّ خُير بين الدنيا والآخرة» ولما كان في مرضه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول : «مع الذين أنعم الله عليهم» الآية فعلمت أنّه خيّر وكان يقول : «اللهم الرفيق الأعلى» وهو يعاني سكرات الموت فصلى الله عليه وسلم .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ذلك الفضل من الله﴾ ردٌ على المعتزلة إذ قالوا : إنما ينال العبد ما يناله بعمله ، والله قد ردّ ذلك الإكرام والإنعام لفضله وهو كذلك عقلا وشرعاً ويلزم اعتقادا .

٣ ـ الطاعات تثمر قوة الإيمان وتؤهل لدخول الجنان.

٤ ـ مواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة ثمرة من ثمار طاعة الله والرسول ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا (٧١) وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا (٧٢) وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا (٧٣)﴾

شرح الكلمات:

خذوا حذركم : الحِذْر والحَذَر: الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه بحسبه.

فانفروا ثبات[1] : النفور: الخروج في اندفاع وانزعاج، والثبات: جمع ثبة وهي الجماعة.

ليبطّئن[2] : أي يتباطأ في الخروج فلا يخرج.

مصيبة : قتل أو جراحات وهزيمة.

شهيداً : أي حاضراً الغزوة معهم.

فضل : نصر وغنيمة.

مودة : صحبة ومعرفة مستلزمة للمودة.[3]

فوزا عظيماً : نجاة من معرة التخلف عن الجهاد، والظفر بالسلامة والغنيمة.

---

(١) أصل ثبة: ثُبية أو ثبوة بالباء والواو، وقد تصغر على ثبية، وهل اشتقاقها من ثبة الحوض أي محل اجتماع الماء فيه، لأن الثبة: الجماعة، وثاب الماء يثوب إذا اجتمع.

(٢) حمل مجاهد وقتادة وابن جريج الآية على المنافقين وحملها بعضهم على ضعفة الإيمان، وحملها على الجميع أقرب إلى الصحة والصواب، والله أعلم.

(٣) إن كان الصاحب من ضعفة الإيمان فهو كذلك، وإن كان منافقاً فإنّ المودّة هنا بمعنى مجرّد الصحبة لا غير، لأنّ المنافق لا يحب المؤمن إلاّ نادراً.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم[1] فانفروا ثبات أو انفروا جميعا[2] ﴾ ينادي الله تعالى عباده المؤمنين وهم في فترة يستعدون فيها لفتح مكة وإدخالها في حضيرة الإسلام خذوا الأهبة والاستعداد حتى لاتلاقوا عدوكم وأنتم ضعفاء، قوته أشد من قوتكم ﴿فانفروا ثبات﴾ عصابة بعد عصابة وجماعة بعد أخرى ﴿أو انفروا جميعا﴾ بقيادتكم المحمدية وذلك بحسب مايتطلبه الموقف وتراه القيادة[3] ثم أخبرهم وهو العليم أن منهم أي من عدادهم وأفراد مواطينهم لمن والله ليبطئن عن الخروج إلى الجهاد نفسه وغيره معاً لأنه لايريد لكم نصراً لأنه منـافق كافـر البـاطن وإن كان مسلم الـظاهر ويكشف عن حال هذا النوع من الرجال الرخيص فيقول: ﴿ فإن أصابتكم ﴾ أيها المؤمنون الصادقون ﴿مصيبة﴾ قتل أو جراح أو هزيمـة قال في فرح بما أصابكم وما نجامنه: لقد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم حاضراً فيصبني ما أصابهم، ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ أي نصر وغنيمة ﴿ليقولن كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾أي معرفة ولا صلة ياليتني متمنياً حاسداً ـ كنت معهم في الغزاة ﴿فأفوز فوزا عظيما﴾ بالنجاة من معرة التخلف والظفر بالغنائم والعودة سالماً .

هدايـة الآيـات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب أخذ الأهبة والاستعداد التام على أمة الإسلام في السلم والحرب سواء .

٢ ـ وجوب وجود خبرة عسكرية كاملة وقيادة رشيدة مؤمنة حكيمة عليمة .

٣ ـ وجود منهزمين روحياً مبطئين حسدة بين المسلمين وهم ضعاف الإيمان فلا يؤبه لهم ولا يلتفت إليهم .

---

(١) أخذ الحذر: هو توقي المكروه بالأسباب الممكنة المشروعة وجملة : ﴿فانفروا ثبات﴾ الخ تفريع بذكر بعض أسباب توقي المحذور.

(٢) أخذ الحذر واجب لأنه سبب شرعه الله تعالى لتوقي المكروه ولكنه لا يمنع المقدور، وأخطأت القدرية إذا قالوا: الحذر يردّ القدر، ولولا أنه كذلك ما أمروا به، وهو خطأ اعتقادي فالأسباب تؤثر طاعة لله تعالى وأمّا دفع المقدور أي ما قدره الله على الإنسان فلابد من وقوعه، وفائدة الأخذ بالأسباب إبعاد الخوف عن النفس وحصول شعور بالفوز والنجاة.

(٣) هل هذه الآية، وهي متقدمة في النزول على آية التوبة : ﴿انفروا خفافاً وثقالا﴾ منسوخة بها؟ والجواب أن فرض الجهاد على الكفاية ولذا فلا نسخ، وإنّما هذه في حال وتلك في أخرى وهي : أن يرى الإمام النفير العام لا غير.

۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

شـرح الكلمـات :

سبيل الله : الطريق الموصلة إلى إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده، ولا يضطهد مسلم في دينه، ولا من أجل دينه.

يشـرون : يبيعون، إذ يطلق الشراء على البيع أيضا.

المستضعفين : المستضعف الذي قام به عجز فاستضعفه غيره فآذاه لضعفه.

القرية : القرية في عرف القرآن المدينة الكبيرة والجامعة والمراد بها هنا مكة المكرمة.

في سبيل الطاغوت : أي في نصرة الشرك ومساندة الظلم والعدوان، ونشر الفساد.

معنى الآيتين :

بعد ما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم وهو الأهبة للقتال أمرهم أن يقاتلوا فقـال: ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ أي يبيعون الدنيا ليفـوزوا بالآخرة وهم المؤمنون حقاً فيقدمون أموالهم وأرواحهم طلبا للفوز بالدار الآخرة يقاتلون من لايؤمن بالله ولا بلقائه بعد أن يدعوه إلى الإيمان بربه والتوبة إليه، ثم أخبرهم

أن من يقاتل استجابة لأمره تعالى فيُقتل أي يستشهد أو يغلب العدو وينتصر على كلا الحالين فسوف يؤتيه[1] الله تعالى أجراً عظيمًا وهو النجاة من النار ودخول الجنة. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٧٤).

أمـا الآية الثـانية (٧٥) فإن الله تعالى بعدما أمر عباده بالجهاد استحثهم على المبادرة وخوض المعركة بقوله: ﴿ ومالكم لا تقاتلون[2] في سبيل الله ﴾ ليعبد وحده ويعز أولياؤه ﴿ و المستضعفين[3] من الرجال والنساء والولدان ﴾ الذين يضطهدون من قبل المشركين ويعذبون من أجل دينهم حتى صرخوا وجأروا بالدعاء إلى ربهم قائلين: ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا ﴾ يلي أمرنا ويكفينا ما أهمنا، ﴿ وآجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ ينصرنا على أعدائنا أي شيء يمنعكم أيها المؤمنون من قتال في سبيل الله، ليُعبد وحده، وليتخلص[4] المستضعفون من فتنة المشركين لهم من أجل دينهم؟

ثم في الآية الثالثة (٧٥) اخبر تعالى عباده المؤمنين حاضا لهم على جهاد أعدائه وأعدائهم بقوله: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ﴾ لأنهم يؤمنون به وبوعده ووعيده ﴿ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ وهو الكفر[5] والظلم لأنهم لايؤمنون بالله تعالى ولا بما عنده من نعيم، ولا بما لديه من عذاب ونكال ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ وهم الكفار، ولا ترهبوهم ﴿ إن كيد الشيطان كان ﴾ ومازال ﴿ ضعيفا ﴾، فلا يثبت هو وأولياؤه من الكفرة، أمام جيش الإيمان أولياء الرحمن.

---

(١) ظاهر الآية التسوية بين مَنْ قُتل شهيداً وبين مَنْ انتصر ورجع بنفسه وهناك حديثان أحدهما يقتضي التسوية وآخر بنفيها فالأول حديث أبي هريرة: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لايخرجه إلاّ جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسولي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر وغنيمة» رواه مسلم. والثاني: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلاّ تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم» والجمع بينهما أنّ من غزى ناويا الأجر والغنيمة ثم غنم وسلم نقص أجره في الآخرة، فلم تكن درجته كالذي استشهد ولم يغنم ولا كالذي نوى الأجر دون الغنيمة أيضاً، والسبب الفارق هو اشتراك النية وعدم خلوصها.

(٢) الاستفهام انكاري أي ينكر عليهم قعودهم عن القتال في سبيل الله أي لانقاذ المؤمنين من فتنة المشركين وانقاذ أولادهم من أن يشبوا ويكبروا على أحوال الكفر جاهلين بالإيمان والإسلام.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي من المستضعفين، وفي رواية البخاري قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله أنا من الولدان وأمي من النساء وكان النبي ﷺ يقنت لهم فيقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين».

(٤) الإجماع على وجوب تخليص الأسرى من المسلمين بالقتال أو بالمال، ولا يحل تركهم تحت الكافر يضطهدهم ويعذبهم من أجل دينهم، وفي الحديث الصحيح: «فكوا العاني» وهو الأسير، وسمي العاني: لما يعانيه من آلام وأتعاب، والمسلمون اليوم أسرى تحت اليهود في فلسطين والمسلمون تاركون لهم غير مهتمين بهم وهو ذنب عظيم.

(٥) يطلق الطاغوت على ما عبد من دون الله، ويطلق على من دعا إلى عبادة غير الله كالشيطان وغيره من الجنّ والإنس الذين يدعون إلى عبادة الأصنام والأشخاص وغيرها، وفي هذه الآية يناسب أن يكون الطاغوت هو الشيطان لقوله بعد أولياء الشيطان.. وإطلاقنا الطاغوت على الكفر والظلم مراعاة لحال الناس فإنّ أكثرهم يقاتل نصرة للكفر الذي هو عليه أو لإبقاء ظلمه واستعلائه في الأرض.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ فرضية القتال في سبيل الله ولأجل انقاذ المستضعفين من المؤمنين نصرة للحق وإبطالاً للباطل .

٢ ـ المقاتل في سبيل الله باع دنياه واعتاض عنها الآخرة ، ولنعم البيع .

٣ ـ المجاهد يؤوب بأعظم صفقة سواء قتل ، أو انتصر وغلب وهي الجنة .

٤ ـ لايمنع المؤمنين من الجهاد خوف أعدائهم ، لأن قوتهم من قوة الشيطان وكيد الشيطان ضعيف .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

شرح الكلمات :

كفوا أيديكم : أي عن القتال وذلك قبل أن يفرض .

كتب عليهم القتال : فرض عليهم

يخشون : يخافون

لولا أخرتنا : هلّا أخرتنا.[1]

فتيلا : الفتيل خيط يكون في وسط النواة.

بروج مشيدة : حصون مشيدة بالشيد وهو الجص.

من حسنة : الحسنة ما سرّ، والسيئة ما ضرّ.

معنى الآيات :

روى أن بعضا من أصحاب الرسول ﷺ طالبوا بالإذن لهم بالقتال ولم يؤذن لهم لعدم توفر أسباب القتال فكانوا يؤمرون بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ريثما يأذن الله تعالى لرسوله بقتال المشركين ولما شرع القتال جبن فريق منهم عن القتال وقالوا ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ متعللين[2] بعلل واهية فأنزل الله تعالى فيهم هاتين الآيتين (٧٧) و(٧٨) ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾أي عن القتال ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ريثما يأذن الله بالقتال عندما تتوفر إمكانياته ، فلما فرض القتال ونزل قوله تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ جبنوا ولم يخرجوا للقتال، وقالوا ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ يريدون أن يدافعوا الأيام حتى يموتوا ولم يلقوا عدواً خوراً وجبناً فأمر تعالى الرسول أن يقول لهم: ﴿ متاع الدنيا[3] قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ فعيشكم في الدنيا مهما طابت لكم الحياة هو قليل ﴿ والآخرة خير لمن اتقى ﴾ الله بفعل أمره وترك نهيه بعد الإيمان به وبرسوله، وسوف تحاسبون على أعمالكم وتجزون بها ﴿ ولا تظلمون فتيلا ﴾ لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة هذا ماتضمنته الآية الأولى .

أما الثانية فقد قال تعالى لهم ولغيرهم ممن يخشون القتال ويجبنون عن الخروج للجهاد: ﴿أينما تكونوا يدركم الموت ﴾ إذ الموت طالبكم ولا بد أن يدرككم كما قال تعالى لأمثالهم ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾، ولو دخلتم حصونا[4] ما فيها كوة ولا نافذة

---

(١) المراد من التأخير إلى أجل قريب هو أن يتم استعدادهم للقتال بتوفر المال والرجال، والعتاد لا إلى أجل الموت فإنّه غير وارد في قولهم هذا ولا معنى له، وهل قولهم كان في أنفسهم أو صرحوا به؟ كلاهما وارد وجائز الوقوع.

(٢) اختلف هل هذه الآية نزلت في المؤمنين أو المنافقين والصواب؛ أنها نزلت في بعض المؤمنين ممن ضعف إيمانهم،أما كونها نزلت في اليهود فلا معنى له، وكونها شملت المنافقين فهذا حق بدليل سياق الأيات.

(٣) يبيّن قلة متاع الدنيا قوله ﷺ: «مثلي ومثل الدنيا كراكب قال قيلولة تحت شجرة ثم راح وتركها».

(٤) تفسير لقوله تعالى: ﴿قل لو كنتم في بروج مشيّدة﴾ إذ البرج البناء المرتفع، والقصر العظيم، قال طرفة يصف ناقة:

كأنها برج رومي يكففها بانٍ بشيد وآجرٍ وأحجار

وفي الآية ردّ على القدرية القائلين المقتول لو لم يقتله القاتل عاش.

فإن الموت يدخلها عليكم ويقبض أرواحكم ولما ذكر تعالى جبنهم وخوفهم ذكر تعالى سوء فهمهم وفساد ذوقهم فقال: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ يعني أنه إذا أصابهم خير من غنيمة أو خصب ورخاء ﴿قالوا هذه من عند الله لا شكراً لله وإنما لايريدون أن ينسبوا إلى رسول الله شيئا من خير كان ببركته وحسن قيادته، وإن تصبهم سيئة فقر أو مرض أو هزيمة يقولون هذه من عندك[1] أي أنت السبب فيها. قال تعالى لرسوله قل لهم ﴿كل من عند الله﴾ الحسنة والسيئة هو الخالق والواضع السنن لوجودها وحصولها. ثم عابهم في نفسياتهم الهابطة فقال: ﴿فمال لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ هذا مادلت عليه الآية الثانية.

أما الثالثة والأخيرة في هذا السياق وهي قوله تعالى: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك[2] من سيئة فمن نفسك[3]﴾ الآية فإن الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ فيخبره بأن الحسنة من الله تعالى إذ هو الآمر بقولها أو فعلها وموجد أسبابها والموفق للحصول عليها، أما السيئة فمن النفس إذ هي التي تأمر بها، وتباشرها مخالفة فيها أمر الله أو نهيه، فلذا لا يصح نسبتها إلى الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً﴾ يُسلى به رسوله عما يلاقيه من أذى الناس ومايصادفه من سوء أخلاق بعضهم كالذين ينسبون إليه السيئة تطيراً به فيخبره بأن مهمته أداء الرسالة وقد أداها والله شاهد على ذلك ويجزيك عليه بما أنت أهله وسيجزي من رد رسالتك وخرج عن طاعتك وكفى بالله شهيدا .

هداية الآية :

من هداية الآيات :

١ ـ قبح الاستعجال والجبن وسوء عاقبتهما.

٢ ـ الآخرة خير لمن اتقى من الدنيا.[4]

---

(١) لقد شارك يهود في هذا القول فقد روي أنهم لما نزل الرسول ﷺ المدينة مهاجرا قالوا: مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه!!

(٢) إنّ الخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو عام في كل إنسان لاسيما المؤمن أو هو من باب إيَّاك أعني. واسمعي يا جارة، وكون لفظه خاصا بالرسول ﷺ ومعناه عام هو الصحيح.

(٣) زاد بعضهم جملة: وأنا كتبتها عليك وهي ليست قرآنا إجماعاً، وإنما هي تفسير من بعض الصحابة ولا التفات لمن طعن في القرآن بمثل هذه الزيادة التفسيرية.

(٤) وما أحسن ما قيل في معنى الآية شعراً:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار المقام نصيب

فإن تعجب الدنيا رجالاً فإنها ... متاع قليل والزوال قريب

٣ ـ لا مفر من الموت ولا مهرب منه بحال[١] من الأحوال.

٤ ـ الخير والشر كلاهما بتقدير الله تعالى.

٥ ـ الحسنة من الله والسيئة من النفس إذ الحسنة أمر الله بأسبابها بعد أن أوجدها وأعان عليها، وأبعد الموانع عنها والسيئة من النفس لأن الله نهى عنها وتوعد على فعلها، ولم يوفق إليها ولم يعن عليها فهي من النفس[٢] لا من الله تعالى.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

شــرح الكلمـات :

حفيظا : تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها.

طــاعة : أي أمرنا طاعة لك.

برزوا : خرجوا.

---

(١) قال زهير بن أبي سلمى :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلّم

(٢) قال قتادة رواية : لا يصيب رجلا خدش عود ولاعثرة قدم ولا اختلاج عرق إلاّ بذنب. وما يعفو الله عنه أكثر. وفي الحديث الصحيح : «والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن همّ ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلاّ كفر الله عنه بها من خطاياه» فهو دال على حديث قتادة الضعيف.

أفلا يتدبـرون : تدبر القرآن قراءة الآية أو الآيات وإعادتها المرة بعد المرة ليفقه مراد الله تعالى منها.

إذاعوا به : افشوه معلنينه للناس

يستنبطونه : يستخرجون معناه الصحيح.

معنى الآيات :

في قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الرسول[1] ﴾ إنذار إلى الناس كافة في أن من لم يطع الرسول محمداً ﷺ ما أطاع الله تعالى، إن أمر الرسول من أمر الله ونهيه من نهي الله تعالى فلا عذر لأحد في عدم طاعة الرسول ﷺ. وقوله تعالى: ﴿ ومن تولى ﴾ أي عن طاعتك فيما تأمر به وتنهى عنه فدعه ولا تلتفت إليه إذ لم نرسلك لتحصي عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتجزيهم بها إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت فأعذرت. وقوله تعالى ﴿ويقولون طاعة﴾ أي ويقول أولئك المنافقون المتطيرون بك السُيئو الفهم لما تقول: طاعة أي أمرنا طاعة لك أي ليس لنا مانقول إذا قلت ولا مانأمر به إذا أمرت فنحن مطيعون لك ﴿فإذا برزوا﴾ أي خرجوا من مجلسك بدل طائفة منهم غير الذي تقول واعتزموه دون الذي وافقوا عليه أمامك وفي مجلسك والله تعالى يكتب بواسطة ملائكته الكرام الكاتبين مايبيتونه[2] من الشر والباطل. وعليه ﴿فأعرض عنهم وتوكل على الله﴾ ولا تبال بهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ فهو حسبك وكافيك مايبيتونه من الشر لك.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٢) ﴿ أفلا يتدبرون[3] القرآن ﴾ يؤنبهم بإعراضهم وجهلهم وسوء فهمهم إذ لو تدبروا القرآن وهو يُتلى عليهم وسمعوه صباح مساء لعرفوا أن الرسول حق وأن ما جاء به حق فآمنوا وأسلموا وحسن إسلامهم، وانتهى نفاقهم الذي أفسد قلوبهم وعفن آراءهم، إن تدبر القرآن بالتأمل فيه وتكرار آياته مرة بعد أخرى يهدي إلى معرفة الحق

---

(١) مصداقه في صحيح مسلم قوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني».

(٢) بيتوا زوروا وبدلوا إذ التبييت هو تدبر الأمر بالليل حيث اتساع الوقت والفراغ من العمل وقلة العيون وبيتوا العدو آتوه ليلا قال الشاعر:

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(٣) في هذه الآية: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ مع آية سورة القتال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ دليل على وجوب تدبر القرآن لفهم معانيه، لاعتقاد الحق والعمل به، وفيه ردٌ على مَن زعم أنه لايأخذ من القرآن إلاّ ما ثبت عن النبي ﷺ تفسيره، ودليل على وجوب النظر والاستدلال وابطال التقليد.

من الباطل وأقرب مايفهمونه لو تدبروا أن القرآن كلام الله تعالى وليس كلام بشر، إذ لو كان كلام بشر لوجد فيه التناقض والإختلاف والتضاد، ولكنه كلام خالق البشر، فلذا هو متسق الكلم متآلف الألفاظ والمعاني محكم الآى هادٍ إلى الإسعاد والكمال، فهو بذلك كلام الله حقاً ومن شرف بإنزاله عليه رسول حق ولا معنى أبداً للكفر بعد هذا والإصرار عليه، ومنافقة المسلمين فيه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً ﴾.

وقوله: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ وهي الآية الرابعة (٨٣) فإن الله تعالى يخبر عن أولئك المرضى بمرض النفاق ناعياً عليهم ارجافهم وهزائمهم المعنوية فيقول ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾ أي إذا وصل من سرايا الجهاد خبر بنصر أو هزيمة سارعوا بإفشائه وإذاعته، وذلك عائد إلى مرض قلوبهم لأن الخبر وأطلق عليه لفظ الأمر لأن حالة الحرب غير حالة السلم إذا كان بالنصر المعبر عنه بالأمن فهم يعلنونه حسداً أو طمعاً، وإذا كان بالهزيمة المعبر عنها بالخوف يعلنونه فزعاً وخوفا لأنهم جبناء كما تقدم وصفهم، قال تعالى في تعليمهم وتعليم غيرهم ما ينبغي أن يكون عليه المجاهدون في حال الحرب. ﴿ولو ردوه إلى الرسول﴾ القائد الأعلى، ﴿وإلى أولي الأمر منهم﴾ وهم أمراء السرايا المجاهدة ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم[1]﴾ أي لاستخرجوا سر الخَبَرِ وعرفوا مايترتب عليه فإن كان نافعاً أذاعوه، وإن كان ضارا أخوفه. ثم قال تعالى: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أيها المؤمنون ﴿لاتبعتم الشيطان[2]﴾ في قبول تلك الإشاعات المغرضة والإذاعات المثبطة ﴿إلا قليلا﴾ منكم من ذوى الآراء الصائبة والحصافة العقلية إذ مثلهم لاتثيرهم الدعاوي، ولا تغيرهم الأراجيف، ككبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب طاعة الرسول ﷺ فإنه لايطاع لذاته وإنما يطاع لذات الله عز وجل.

---

(١) الاستنباط مأخوذ من استنبط الماء: إذا استخرجه من الأرض، والنبط: الماء المستنبط أوّل ما يخرج من ماء البئر أول ما يحفر، وسمي النبط نبطاً لأنهم يستخرجون ما في الأرض، والاستنباط لغة: الاستخراج، وفي هذه الآية دليل على الاجتهاد.

(٢) ما فسرنا به الآية أصح مما فسرت به ولا التفات إلى ما أورد القرطبي من آراء عدّة لا طائل تحتها.

٢ ـ وجوب تدبر القرآن لتقوية الإيمان.[(١)]

٣ ـ آية أن القرآن وحي الله وكلامه سلامته من التناقض والتضاد في الألفاظ والمعاني.

٤ ـ تقرير مبدأ أن أخبار الحرب لاتذاع إلا من قبل القيادة العليا حتى لا يقع الاضطراب في صفوف المجاهدين والأمة كذلك.

٥ ـ أكثر الناس يتأثرون بما يسمعون إلا القليل من ذوي الحصافة العقلية والوعي السياسي.

﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

شـــرح الكلمـات:

حرض المؤمنين : حثهم على الجهاد وحرضهم على القتال.

بأس الذين كفروا : قوتهم الحربية.

وأشد تنكيلاً : أقوى تنكيلاً والتنكيل: ضرب الظالم بقوة حتى يكون عبرة لمثله فينكل عن الظلم.

الشفاعة[(٢)] : الوساطة في الخير أو في الشر فإن كانت في الخير فهي الحسنة وإن كانت في الشر فهي السيئة.

---

(١) واستنباط الأحكام واستخراج أنواع الهدايات فيه إذ هو كتاب هداية للمؤمنين به يهتدون إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

(٢) الشفاعة من الشفع وهو الزوج ضد الفرد، وسميت شفاعة لأنّ الشفيع يصير مع المشفوع له شفعاً أي, زوجا، والشفعة ضم ملك إلى ملك.

كفل منها	: نصيب منها .
مقيتاً [١]	: مقتدراً عليه وشاهداً عليه حافظاً له .
بتحية	: تحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
أو ردوها	: أي يقول وعليكم السلام .
حسيباً	: محاسباً على العمل مجازياً به خيراً كان أو شراً .

معنى الآيات :

مازال السياق في السياسة الحربية ففي هذه الآية ﴿ فقاتل[٢] في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين ﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقاتل المشركين لأجل إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده وينتهي إضطهاد المشركين للمؤمنين وهو المراد من قوله ﴿ في سبيل الله ﴾ وقوله ﴿ لا تكلف إلا نفسك[٣] ﴾ أي لايكلفك ربك إلا نفسك وحدها، أما من عداك فليس عليك تكليفه بالقتال، ولكن حرض المؤمنين على القتال معك فحثهم على ذلك ورغبهم فيه . وقوله: ﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ وهذا وعد من الله تعالى بأن يكف بأس الذين كفروا فيسلط عليهم رسوله والمؤمنين فيبددوا قوتهم ويهزموهم فلا يبقى لهم بأس ولا قوة وقد فعل[٤] وله الحمد والمنة وهو تعالى ﴿أشد بأساً﴾ من كل ذي بأس ﴿وأشد تنكيلاً﴾ من غيره بالظالمين من أعدائه .

هذا مادلت عليه الآية (٨٤) أما الآية (٨٥) وهي قوله تعالى ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ فهو إخبار منه تعالى بأن من يشفع شفاعة حسنة بأن يضم صوته مع مطالب بحق أو يضم نفسه إلى سريّة تقاتل في سبيل الله ، أو يتوسط لأحد في قضاء حاجته فإن للشافع

---

(١) شاهده قول الزبير بن عبد المطلب:

وذي ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على مساءته مُقيتا

أي : مقتدرا .

(٢) هذه الفاء هي الفصيحة والتقدير: إذا كان الأمر كما علمت من وجود المثبطين والخائفين والمرجفين، فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلاّ نفسك .

(٣) في الآية دليل على شجاعة الرسول ﷺ الخارقة للعادة إذ كلّفه الله به على انفراد وأمره بتحريض المؤمنين على القتال، ومعنى هذا أنّه أمره بالجهاد ولو كان وحده ولذا قال ﷺ : «والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي» أي : حتى أموت، وتحريض المؤمنين هو أمرهم بالقتال وحثهم عليه لا على سبيل الإلزام كما ألزم به هو ﷺ .

(٤) فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى دانت الجزيرة كلها بالإسلام، ولم يمض أكثر من ربع قرن حتى دخلت دولتا الفرس والروم في الإسلام لأنّ (عسى) من الله تعالى تفيد وجوب الوقوع .

قسطاً من الأجر والمثوبة كما أن ﴿من يشفع شفاعة سيئة﴾ بأن يؤيد باطلاً أو يتوسط في فعل شر أو ترك معروف يكون عليه نصيب من الوزر، لأن الله تعالى على كل شيء مقتدر وحفيظ عليم. هذا مادلت عليه الآية المذكورة.

أما الآية الأخيرة (٨٦) فإن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بأن يردوا تحية من يحييهم بأحسن منها فإن لم يكن بأحسن فبالمثل، فمن قال: السلام عليكم فليقل الراد وعليكم السلام ورحمة الله، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله فليرد عليه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وقوله تعالى: ﴿ إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾[1] فيه تطمين للمؤمنين على أن الله تعالى يثيبهم على إحسانهم ويجزيهم به.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان شجاعة النبي ﷺ بدليل أنه كلف بالقتال وحده وفعل.

٢ - ليس من حق الحاكم أن يجند المواطنين تجنيداً إجبارياً، وإنما عليه أن يحضهم على التجنيد ويرغبهم فيه بوسائل الترغيب.

٣ - فضل الشفاعة في الخير، وقبح الشفاعة في الشر.[2]

٤ - تأكيد سنة التحية، ووجوب ردّها بأحسن أو بمثل.[3]

٥ - تقرير ما جاء في السنة بأن السلام عليكم: يعطى عليها المسلم عشر حسنات ورحمة الله: عشر حسنات. وبركاته: عشر كذلك.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ

(١) حسيب هنا: بمعنى محاسب وحفيظ فلا يضيع حسنات العبد.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا» وليقض الله على لسان نبيه ما أحب.

(٣) في الآية سنية إلقاء السلام ووجوب ردّه وقد بينت السنة أنّ القليل يسلم على الكثير، والقائم على القاعد، والراكب على الماشي، وأنّ الردّ يكون بزيادة ورحمة الله وبركاته، وأنه لا يسلم على المرأة الصغيرة خشية الفتنة، وأنّ المصلي إن سُلّم عليه رد السلام بالإشارة إن شاء.

أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ
مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

لا إله إلا هو (١) : لا معبود بحق إلا هو.

فئتين (٢) : جماعتين الواحدة فئة أي جماعة .

أركسهم : الارتكاس : التحول من حال حسنة إلى حال سيئة كالكفر بعد الإيمان أو الغدر بعد الأمان وهو المراد هنا .

سبيلاً : أي طريقاً إلى هدايتهم .

---

(١) اسم الجلالة ﴿الله﴾ مبتدأ و﴿لا إله إلا الله﴾ جملة معترضة ، وجملة القسم واقعة موقع الخبر .

(٢) الفئة : الطائفة ، اشتق لفظها من الفيء الذي هو الرجوع ، إذ أفرادها يرجع بعضهم إلى بعض وأصلها فيء فحذفت الياء من وسطها لكثرة الاستعمال فصارت : فئة بعد زيادة هاء التأنيث عوضاً عن الياء المحذوفة .

وَلِيّاً ولا نصيراً : الولي: من يلي أمرك، والنصير: من ينصرك على عدوك.

يصلون : أي يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم.

ميثاق : عهد.

حصرت صدورهم : ضاقت.

السـلم : الاستسلام والانقياد.

الفتنـة : الشرك.

ثقفتموهم : وجدتموهم متمكنين منهم.

سلطاناً مبيناً : حجة بينة على جواز قتالهم.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى الآيات قبل هذه أنه تعالى المقيت والحسيب أي القادر على الحساب والجزاء أخبر عز وجل أنه الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود دون سواه لربوبيته على خلقه إذ الإله الحق ما كان رباً خالقاً رازقاً مدبراً بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء وأنه جامع[1] الناس ليوم لاريب في إتيانه وهو يوم القيامة.

هذا ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ ولما كان هذا خبراً يتضمن وعداً ووعيداً أكد تعالى إنجازه فقال: ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ اللهم إنه لا أحد أصدق منك.

أما الآيات الأربع الباقية وهي (٨٨) و(٨٩) و(٩٠) و (٩١) فقد نزلت لسبب معين وتعالج مسائل حربية معنية أما السبب الذي نزلت فيه فهو اختلاف المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ في طائفة من المنافقين أظهروا الإسلام وهم ضليعون في موالاة الكافرين، وقد يكونون في مكة،[2] وقد يكونون في المدينة فرأى بعض الأصحاب أن من الحزم الضرب على أيديهم وإنهاء نفاقهم، ورأى آخرون تركهم والصبر عليهم ماداموا يدعون الإيمان لعلهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿ليجمعنكم﴾ جواب قسم، وهذا الجمع دلالة اللفظ أنه في القبور تحت الأرض ليبعثهم يوم القيامة وقد تكون (إلى) صلة ويكون الجمع هو جمع يوم القيامة.

(٢) السياق الكريم صالح لأن تكون الفئتان المختلف فيهما من مكة أو من المدينة وقد ورد في الصحيح اختلاف المؤمنين في ابن أبي ومن وافقه ورجع من أحد دون قتال حتى قال الرسول ﷺ «انها طيبة وإنها تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد» كما ورد في غير الصحيح أنّ جماعة في مكة تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين وأبوا أن يهاجروا، فاختلف في شأنهم المؤمنون، ولا مانع من أن تعنى الآيات منافقي المدينة، ومنافقي مكة، إذ الخلاف وقع في كلّ من منافقى مكة ومنافقي المدينة، ويرجع هذا الرأي صحة الخبر الأول وذكر الهجرة في الثانى.

بمرور الأيام يتوبون، فلما اختلفوا واشتد الخلاف في شأنهم أنزل الله تعالى هذه الآيات فقال: ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم[1] بما كسبوا أتريدون[2] أن تهدوا من أضل الله، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ ومعنى الآية أي شيء صيركم في شأن المنافقين فئتين؟ والله تعالى قد أركسهم في الكفر بسبب ماكسبوه من الذنوب العظام. أتريدون أيها المسلمون أن تهدوا من أضل الله، وهل يقدر أحد على هداية من أضله الله؟ وكيف، ومن يضلل الله حسب سنته في إضلال البشر لايوجد له هادٍ، ولا سبيل لهدايته بحال من الأحوال.

ثم أخبر تعالى عن نفسيّة أولئك المنافقين المختلف فيهم فقال وهي الآية الثالثة (٨٩) ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ أي أحبوا من قلوبهم كفركم لتكونوا مثلهم وفيه لازم وهو انتهاء الإسلام، وظهور الكفر وانتصاره.

ومن هنـا قال تعالى محرما موالاتهم إلى أن يهاجروافقال: ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ تعولون عليهم في نصرتكم على إخوانهم في الكفر. وظاهر هذا السياق أن هؤلاء المنافقين هم بمكة وهو كذلك. وقوله تعالى ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله[3]﴾، لأن الهجرة إلى المدينة تقطع صلاتهم بدار الكفر فيفتر عزمهم ويراجعوا الصدق في إيمانهم فيؤمنوا فإن هاجروا ثم تولوا عن الإيمان الصحيح إلى النفاق والكفر فأعلنوا الحرب عليهم ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴾ لأنهم بارتكاسهم لاخير فيهم ولا يعول عليهم.

ثم في الآية (٩٠) استثنى لهم الرب تعالى صنفين من المنافقين المذكورين فلا يأخذونهم أسرى ولا يقاتلونهم، الصنف الأول الذين ذكرهم تعالى بقوله ﴿ إلا الذين يصلون ﴾ أي يلجـأون ﴿إلى قوم بينكم وبينهم ميثـاق[4] ﴾ فبحكم استجـارتهم بهم طالبين الأمان منهم فأمنـوهم أنتم حتى لاتنقضوا عهدكم. والصنف الثاني قوم ضاقت صدورهم بقتالكم،

---

(١) جملة: ﴿والله أركسهم﴾ حالية.

(٢) الاستفهام انكاري وهو دال على جملة محذوفة تقديرها: انهم قد أضلهم الله.

(٣) الهجرة: هجرتان هي لمنافقي المدينة: الخروج إلى الغزو مع رسول الله ﷺ، وهجرة لمنافقي مكة وهي إلى المدينة للاقامة بها، والهجرة أنواع، منها ترك المعاصي لحديث: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ورسوله» ومنها هجرة الفساق وأهل البدع ليتوبوا من ذنوبهم.

(٤) قد اختلف في هؤلاء الذين بينهم وبين المؤمنين ميثاق، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا طائل تحت معرفتهم الآن، إذ العبرة أن في الآية دليل على جوازالموادعة بين أهل الحرب والمسلمين للضرورة.

وقتال قومهم فهؤلاء الذين لم يستسيغوا قتالكم ولا قتال قومهم إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فلا تأخذوهم ولا تقتلوهم واصبروا عليهم، إذ لو شاء الله تعالى لسلطهم عليكم فلقاتلوكم هذا الصنف هو المعني بقوله تعالى: ﴿ أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ فما دام الله تعالى قد كفهم عنكم فكفوا أنتم عنهم. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ﴾. أي المسالمة والمهادنة ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً[1] ﴾. لأخذهم وقتالهم. هذا وهناك صنف آخر ذكر تعالى حكم معاملته في الآية الخامسة والأخيرة وهي قوله تعالى: (٩١) ﴿ستجدون قوماً آخرين[2]﴾ غير الصنفين السابقين ﴿يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾[3] فهم إذاً يلعبون على الحبلين كما يقال ﴿كلما ردوا إلى الفتنة﴾ أي إلى الشرك ﴿أركسوا فيها﴾ أي وقعوا فيها منتكسين إذ هم منافقون إذا كانوا معكم عبدوا الله وحده وإذا كانوا مع قومهم عبدوا الأوثان لمجرد دعوة يدعونها يلبون فيرتدون إلى الشرك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ﴾ أي إن لم يعتزلوا قتالكم ويلقوا إليكم السلام وهو الإذعان والإنقياد لكم، ويكفوا أيديهم فعلاً عن قتالكم ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ أي حجة واضحة على جواز أخذهم وقتلهم حيثما تمكنتم منهم وعلى أي حال. هذا مادلت عليه الآيات الخمس مع العلم أن الكف عن قتال المشركين قد نسخ بآيات براءة إلا أن لإمام المسلمين أن يأخذ بهذا النظام عند الحاجة إليه فإنه نظام رباني ما أخذ به أحد وخاب أو خسر، ولكن خارج جزيرة العرب إذ لا ينبغي أن يجتمع فيها دينان.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيـات

١ ـ وجوب توحيد الله تعالى في عبادته.

٢ ـ الإيمان بالبعث والجزاء.

---

(١) ﴿سبيلا﴾: أي إذنا بقتالهم بعد أن أمركم بقتال غيرهم حيث وجدتموهم ممكّنين منهم.

(٢) ﴿ستجدون﴾ الوجدان هنا بمعنى الاطلاع والعثور أي: ستطلعون على قوم اخرين وصفهم كذا أو كذا.

(٣) أي لا هم لهم إلاّ حظوظ أنفسهم، ولا سعي لهم إلاّ في خويصيتهم فهم يظهرون المودة للمسلمين ليأمنوهم ويظهروها لقومهم ليأمنوا أيضاً، قيل هم غطفان، وبنو أسد قبل أن يحسن إسلامهم وبنو عبد الدار بمكة أيضاً إذ كانوا يأتون المدينة مظهرين الإسلام ثم إذا عادوا إلى مكة عبدوا الأصنام.

٣ - خطة حكيمة لمعاملة المنافقين بحسب الظروف والأحوال.

٤ - تقرير النسخ في القرآن.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

إلا خطأً : أي إلا قتلاً خطأً وهو أن لا يتعمد قتله كأن يرمي صيداً فيصيب إنساناً.

رقبة : أي مملوك عبداً كان أو أمة.[1]

مسلمة : مؤداة وافية.[2]

إلا أن يصدقوا : أي يتصدقوا بها على القاتل فلا يطالبوا بها ولا يأخذوها منه.

---

(١) لابد أن تكون الرقبة مؤمنة، وهل يجب أن تكون بالغة؟ إذ الإيمان يتم بالبلوغ، والذي عليه مالك أنها تجزىء إذا كانت سليمة الأعضاء ولو لم تكن بالغة وهو الراجح.

(٢) لقد بيّنت السنة أن دية الخطأ على العاقلة، ولا خلاف فيها.

ميثاق : عهد مؤكد بالأيمان.

متعمداً : مريداً قتله وهو ظالم له.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة قتال المنافقين متى يجوز ومتى لا يجوز ناسب ذكر قتل المؤمن الصادق في إيمانه خطأ وعمداً وبيان حكم ذلك فذكر تعالى في الآية الأولى (٩٢) أنه لا ينبغي[١] لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا في حال الخطأ أما في حال العمد فلا يكون ذلك منه ولا يتأتى له وهو مؤمن لأن الإيمان نور يكشف عن مدى قبح جريمة قتل المؤمن وما وراءها من غضب الله تعالى وعذابه فلا يقدم على ذلك اللهم إلا في حال الخطأ فهذا وارد وواقع، وحكم من قتل خطأ أن يعتق رقبة ذكراً كانت أو أنثى مؤمنة وأن يدفع الديّة لأولياء القتيل إلا أن يتصدقوا بها فلا يطالبوا بها ولا يقبلونها والدية مائة من[٢] الإبل، أو ألف دينار ذهب، أو إثنا عشر ألف درهم فضة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل[٣] مؤمناً إلا خطأً، ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى[٤] أهله إلا أن يصدقوا ﴾ فإن كان القتيل مؤمناً ولكن من قوم هم عدو للمسلمين محاربين فالواجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير، إذ لا تعطى الدية لعدو يستعين بها على حرب المسلمين وإن كان القتيل من قوم كافرين وهو مؤمن أو كافر ولكن بيننا وبين قومه معاهدة، على القاتل تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله، فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين فذلك توبته لقوله تعالى: ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة[٥] من الله وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾عليماًبما يحقق المصلحة لعباده

---

(١) فالنفي في قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا..﴾ ليس نفي الفعل حتى يقال: ما نفاه الله لا يجوز وجوده، وإنّما هو نفي الحال والشأن لا الفعل فليتأمل.

(٢) ومن الغنم ألف شاة، وهـل الإبل تخمّس خلاف، ومذهب الشافعي ومالك أنها تخمس، فعشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنات مخاض، وعشرون بنات لبون، وعشرون بنو لبون ذكور، وتغلّظ دية شبه العمد، بأن يكون أربعون منها في بطونها أولادها، وشبه العمد ما كان بأداة لا تقتل عادة كالعصا ونحوها لحديث: «ألا إنّ دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها».

(٣) قيل نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة إذ قتل الحارث بن زيد العامري لإحنة كانت بينهما، وكان الحارث قد أسلم ولم يعلم عياش بإسلامه فكان قتله خطأً وقوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أي: فعليه تحرير رقبة.

(٤) أكثر أهل العلم أنّ دية المرأة على نصف دية الرجل وأنّ دية الجنين إذا سقط حياً دية كاملة وإذا سقط ميتا فديته غرّة عبد أو أمة، ومعنى غرّة أي أن يكون أبيض لا أسود، فيقوم العبد وتعطى قيمته دية.

(٥) ﴿توبة﴾: منصوب على المصدر أي تاب الله عليه توبة، أي مشروعية الكفارة في قتل الخطأ كانت توبة من الله على العبد القاتل خطأً، وعلّة الكفارة أنه لم يتحرّز ولم يتحفظ فلذا وقع منه القتل فكان لابد من مكفّر لما لحقه من الاثم بالتفريط، أمّا القاتل عمداً فلا كفارة تجزئه، وهل له من توبة؟ عليه أن يتوب، ومن توبته أن يعتق أو يتصدق ويصوم رجاء أن يتوب الله عليه.

حكيمًا في تشريعه فلا يشرع إلا ماكان نافعاً غير ضار، ومحققاً للخير في الحال والمآل.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٩٣) فإنها بنيت حكم من قتل مؤمناً عمداً عدواناً، وهو أن الكفارة لا تغني عنه شيئاً لما قضى الله تعالى له باللعن والخلود في جهنم إذ قال تعالى: ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيمًا ﴾ إلا أن الدية أو القصاص لازمان ما لم يعف أولياء الدم فإن عفوا عن القصاص ورضوا بالدية أعطوها وإن طالبوا بالقصاص اقتصوا إذ هذا حقهم وأما حق الله تعالى فإن القتيل عبده خلقه ليعبده فمن قتله فالله تعالى رب العبد خصمه وقد توعده بأشد العقوبات وأفظعها، والعياذ بالله تعالى وذلك حقه قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيمًا ﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ - بيان أن المؤمن الحق لايقع منه القتل العمد للمؤمن.

٢ - بيان جزاء القتل الخطأ وهو تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله.

٣ - إذا كان القتيل مؤمناً وكان من قوم كافرين محاربين فالجزاء تحرير رقبة ولا دية.

٤ - إذا كان القتيل من قوم بين المسلمين وبينهم مثياق فالواجب الدية وتحرير رقبة.

٥ - من لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين.[1]

٦ - القتل العمد العدوان يجب له أحد شيئين القصاص أو الدية حسب رغبة أولياء الدم وإن عفوا فلهم ذلك وأجرهم على الله تعالى، وعذاب الآخرة وعيد إن شاء الله أنجزه وإن شاء عفا عنه.

يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ

لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ

---

(١) يسقط التتابع بالمرض والحيض لا بالسفر، ومعنى التتابع: أن لا يستأنف مَن أفطر لمرض، وإنّما يبني على ما صامه، ويواصل حتى يكمل الشهرين.

عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

شــرح الكلمـات :

إذا ضربتم : خرجتم تضربون الأرض بأرجلكم غزاة ومسافرين.

فتبينوا : فتثبتوا حتى لاتقتلوا مسلمًا تحسبونه كافراً.

السلم : الإستسلام والانقياد.

تبتغون : تطلبون.

منّ الله عليكم : بالهداية فاهتديتم وأصبحتم مسلمين.

معنى الآية الكريمة :

روي أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا فلقوا رجلاً يسوق غنمًا من بني سليم فلما رآهم سلم عليهم قائلاً السلام عليكم فقالوا له ماقلتها إلا تقيّة لتحفظ نفسك ومالك وقتلوه فنزلت هذه الآية ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله ﴾ يريد خرجتم مسافرين للغزو والجهاد ﴿فتبّينوا﴾ ممن تلقونهم في طريقكم هل هم مسلمون فتكفوا عنهم أو كافرين فتقاتلوهم، ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ أعلن إسلامه لكم بالشهادة أو بالسلام ﴿لست مؤمناً﴾ فتكذبونه في دعواه الإسلام لتنالوا منه: ﴿تبتغون﴾ بذلك ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ أي متاعها الزائل فإن كان قصدكم الغنيمة فإن عند الله مغانم كثيرة فأطيعوه وأخلصوا له النية والعمل يرزقكم ويغنمكم خير ماتأملون وترجون وقوله ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي مثل هذا الرجل الذي قتلتموه رغبة في غنمه كنتم تستخفون بإيمانكم خوفاً من قومكم ﴿فمن الله عليكم﴾ بأن أظهر دينه ونصركم فلم تعودوا تخفون دينكم. وعليه فتبينوا

---

(١) السِلم: بكسر السين، والسَّلَم بفتح السين واللام، والسلام: واحد والسلم بالكسر هنا أولى لأنّه بمعنى الانقياد والطاعة.
(٢) روى أنّ النبي ﷺ حمل ديته إلى أهله وردّ غنمه، وهو كذلك.
(٣) سمي متاع الدنيا عَرَضاً: لأنّه عارض زائل، ويطلق العرض بفتح الراء على الدراهم والدنانير وباسكان الراء على المتاع من أثاث وغيره فلذا كل عرض بإسكان الراء عرَض بفتحها ولا ينعكس وفي الحديث الصحيح: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنّما الغنى غنى النفس» رواه مسلم.

مستقبلاً، ولا تقتلوا أحداً حتى تتأكّدوا من كفره[1] وقوله: ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ تذييل يحمل الوعد والوعيد، الوعد لمن أطاع والوعيد لمن عصى إذ لازم كونه تعالى خبيراً بالأعمال أنه يحاسب عليه ويجزي بها، وهو على كلِّ شيء قدير.

هداية الآية

من هداية الآية:

١ ـ مشروعية السير في سبيل الله غزوا وجهاداً.[2]

٢ ـ وجوب التثبت والتبين في الأمور التي يترتب على الخطأ فيها ضرر بالغ.

٣ ـ ذم الرغبة في الدنيا لاسيما إذا كانت تتعارض مع التقوى.

٤ ـ الاتعاظ بحال الغير والاعتبار بالأحداث المماثلة.

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) ﴾

شرح الكلمات:

أولوا الضرر : هم العميان والعرج والمرضى.

درجة : منزلة عالية في الجنة.

الحسنى : الجنة.

---

(١) لأن قتل النفس عظيم، ولذا لمّا أخبر الرسول ﷺ بمن قتل مَن قال لا إله إلا الله ظاناً أنّه قالها تقية قال: «هلاّ شققت عن قلبه» قالها ثلاثا، ولذا لو أنّ كافرا صلى معنا ولم يقل: لا إله إلا الله لم نقتله حتى نطلب إليه قولها فإن قالها وإلا قتل حينئذ هذا الكافر المحارب لا المعاهد والمستأمن.

(٢) بل فضيلة السير في سبيل الله سواء للجهاد أو لطلب علم أو صلة رحم أو حج أو عمرة أو إبلاغ دعوة وتعليم علم أو زيارة مؤمن لما ورد في ذلك من الأجر العظيم.

معنى الآيتين :

روي أن ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية بهذه الصيغة ﴿ لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . . . ﴾ الآية . أتى النبي ﷺ فقال : كيف وأنا أعمى يارسول الله فما برح حتى نزلت ﴿ غير أولي الضرر ﴾[1] فأدخلت بين جملتي ﴿ لايستوي القاعدون من المؤمنين ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ ومعنى الآية : إن الله تعالى ينفي أن يستوي في الأجر والمنزلة عنده تعالى من يجاهد بماله ونفسه ومن لايجاهد بخلاً بماله . وضناً بنفسه ، واستثنى تعالى أولي الأعذار من مرض ونحوه فإن لهم أجر المجاهدين وإن لم يجاهدوا لحسن نياتهم ، وعدم استطاعتهم فلذا قال ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ التي هي الجنة ، وقوله : ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ أي فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين لعذر درجة ، وإن كان الجميع لهم الجنة وهي الحسنى . وقوله تعالى : ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ لغير عذر ﴿أجراً عظيمًا﴾ وهو الدرجات[2] العالية مع المغفرة والرحمة ، وذلك لأن الله تعالى كان أزلاً وأبداً غفوراً رحيما ، ولذا غفر لهم ورحمهم ، اللهم اغفر لنا وارحمنا معهم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان فضل المجاهدين على غيرهم من المؤمنين الذين لا يجاهدون .

٢ ـ أصحاب الأعذار الشرعية ينالون أجر المجاهدين إن كانت لهم رغبة في الجهاد ولم يقدروا عليه لما قام بهم من[3] أعذار وللمجاهدين فعلاً درجة تخصهم دون ذوي الأعذار .

---

(١) قرىء ﴿غيرُ﴾ بالرفع على أنه نعت لـ ﴿قاعدون﴾ وقرىء بالنصب على الاستثناء ويصح أيضاً على الحال .

(٢) روي في الصحاح أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال ﷺ : «من رمى بسهم فله أجره درجة فقال رجل يارسول الله وما الدرجة؟ : قال : أما إنها ليست بعتبة بابك ، ما بين الدرجتين مائة عام» .

(٣) روى البخاري تعليقا وغير واحد أنّ النبي ﷺ وقد قفل عائدا من إحدى غزواته قال : إنّ بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ، ولا سرتم مسيرا إلّا كانوا معكم أولائك قوم حبسهم العذر» .

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

شـــرح الكلمــات :

توفاهم : تقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

ظالمي أنفسهم(١) : بتركهم الهجرة وقد وجبت عليهم.

فيم كنتم : في أي شيء كنتم من دينكم؟

مصيراً : مأوى ومسكناً.

حـــيلة : قدرة على التحول.

مراغمًا : مكاناً وداراً لهجرته يرغم ويذل به من كان يؤذيه في داره.

وســـعة : في رزقه.

وقع أجره على الله : وجب أجره في هجرته على الله تعالى.

معنى الآيات :

لما كانت الهجرة من آثار الجهاد ناسب ذكر القاعدين عنها لضرورة ولغير ضرورة فذكر

---

(١) ظلم النفس: أن يفعل العبد فعلا يؤول إلى مضرته فهو بذلك ظالم لنفسه، والمراد به هنا ترك الهجرة إذ يترتب عليها ترك العبادة فتخبث النفس وذلك ظلم لها.

تعـالى في هذه الآيات الهجرة وأحكامها فقال تعالى: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة[1] ظالمي أنفسهم ﴾ حيث تركوا الهجرة ومكثوا في دار الهوان يضطهدهم العدو ويمنعهم من دينهم ويحـول بينهم وبـين عبـادة ربهم. هؤلاء الظالمون لأنفسهم تقول لهم الملائكة عند قبض أرواحهم ﴿فيم كنتم﴾[2]؟ تسألهم هذا السؤال لأن أرواحهم مدساة مظلمة لأنها لم تزك على الصـالحـات، فيقولون معتذرين: ﴿كنا مستضعفين في الأرض﴾ فلم نتمكن من تطهير أرواحنا بالإيمان وصالح الأعمال، فترد عليهم الملائكة قولهم: ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ وتعبدوا ربكم؟ ثم يعلن الله تعالى عن الحكم فيهم بقوله: فأولئك البعداء ﴿مأواهم جهنم﴾ وساءت جهنم مصيراً يصيرون إليه ومأوى ينزلون فيه. ثم استثنى تعالى أصحاب الأعذار كما استثناهم في القعود عن الجهاد في الآيات قبل هذه فقال عز من قائل: ﴿ إلا المستضعفـين[3] من الـرجـال والنسـاء والولدان﴾، واستضعاف الرجال يكون بالعلل[4] والنساء والولدان بالضعف الملازم لهم، هؤلاء الذين لا يستطيعون حيلة أي لا قدرة لهم على التحول والإنتقال لضعفهم، ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾ إلى دار الهجرة لعدم خبرتهم بالدروب والمسـالـك فطمعهم تعالى ورجاهم بقوله: ﴿فأولئك﴾ المذكورون ﴿عسى الله أن يعفوا عنهم﴾ فلا يؤاخذهم ويغفر لهم بعض ماقصروا فيه ويرحمهم لضعفهم وكان الله غفوراً رحيمًا.

هذا مادلت عليه الآيات الثلاث .

أما الآية الرابعة (١٠٠) فقد أخبر تعالى فيها أن من يهاجر في سبيله تعالى لا في سبيل دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها يجد بإذن الله تعالى في الأرض مذهباً يذهب إليه وداراً ينزل بها ورزقـاً واسعاً يراغم به عدوه الذي اضطهده حتى هاجر من بلاده، فقال تعالى: ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيراً وسعة ﴾ ثم أخبر تعالى أن من خرج مهاجراً

---

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على محمد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل فأنزل الله تعالى: ﴿إنّ الذين تتوفاهم الملائكة . . ﴾ الآية.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتقريع.

(٣) قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من عنى الله بهذه الآيةوأمابن عباس هي: لبابة وتكنى: أم الفضل وهي أخت أم المؤمنين ميمونةبنتالحارث رضي الله عنهما.

(٤) وهي الزمانة، وتكون بالعرج والعمى والشلل ونحوهما.

في سبيل الله أي لأجل عبادته ونصرة دينه ثم مات في طريق هجرته وإن لم يصل إلى دار الهجرة فقد وجب أجره على الله تعالى وسيوفاه كاملاً غير منقوص، ويغفر الله تعالى له ما كان من تقصير سابق ويرحمه فيدخله جنته. إذ قال تعالى: ﴿ ومن يخرج من[1] بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الهجرة[2] عندما يحال بين المؤمن وعبادة ربه تعالى إذ لم يخلق إلا لها.

٢ ـ ترك الهجرة كبيرة من كبائر الذنوب يستوجب صاحبها دخول النار.

٣ ـ أصحاب الأعذار كما سقط عنهم واجب الجهاد يسقط عنهم واجب الهجرة.

٤ ـ فضل الهجرة في سبيل الله تعالى

٥ ـ من مات في طريق هجرته أعطى أجر المهاجر كاملاً غير منقوص وهو الجنة.

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾
وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟
فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ ضمرة بن جندب خرج إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ومن يخرج من بيته..﴾الخ.

(٢) الهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام وهي فريضة من فرائض الإسلام، وهي هجر متعددة منها الهجرة من بلاد البدعة، قال مالك: لا يحل لمؤمن أن يقيم بأرض يسب فيها السلف الصالح. ومنها الخروج من أرض غلب عليها الحرام، إذ طلب الحلال فريضة، ومنها أن يؤذى المسلم في دينه أو عرضه أو ماله، ومنها الخوف من المرض ما لم يكن طاعونا، فإنّه يحرم الفرار منه، ومنها أن لا يكون في بلدة من يعرف أحكام الشريعة فيها جر لطلب ذلك.

كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ
وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟
فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

شـــرح الكلمـات :

ضربتم في الأرض : أي مسافرين مسافة قصر وهي أربعة برد أي ثمانية وأربعون ميلاً .

أن تقصروا من الصلاة : بأن تصلوا الظهرين ركعتين ركعتين، والعشاء ركعتين لطولها .

إن خفتم أن يفتنكم : هذا خرج مخرج الغالب، فليس الخوف بشرط في القصر وإنما الشرط السفر.[1]

حذرهم : الحيطة والأهبة لما عسى أن يحدث من العدو.

وأسلحتكم : جمع سلاح ما يقاتل به من أنواع الأسلحة .

لاجناح عليكم : أي لاتضييق عليكم و لا حرج في وضع الأسلحة للضرورة

(١) من أحكام صلاة السفر: أنّ المسافر لا يشرع في التقصير حتى يتجاوز مباني المدينة التي يسكنها وأنّ المسافر إذا صلى وراء مقيم يتمّ معه، وأنّ المسافر إذا أمّ غيره قصر والمقيم يتم، وأنّه يشرع له الجمع بين الظهرين والعشائين تقديماً أو تأخيرا .

قضيتم الصــلاة : أديتموها وفرغتم منها.

فإذا اطمأننتم : أي ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن.

كتاباً موقوتا : فرضاً ذات وقت معين تؤدىٰ فيه لا تتقدمه ولا تتأخر عنه.

ولا تهنوا : أي لا تضعفوا.

تألمون : تتألمون.

معنى الآيــات :

بمناسبة الهجرة والسفر من لوازمها ذكر تعالى رخصة قصر الصلاة في السفر وذلك بتقصير الـرباعية إلى ركعتين فقال تعالى: ﴿ وإذا ضربتم في الأرض ﴾ أي سرتم فيها مسافرين[1] ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أي حرج وإثم في ﴿ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ وبينت السنة أن المسافر يقصر ولو أمن فهذا القيد غالبي فقط، وقال تعالى: ﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ﴾ تذييل أريد به تقرير عداوة الكفار للمؤمنين فلذا شرع لهم هذه الرخصة.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠١) أمـا الآيتـان بعـدهـا فقد بيّنت صلاة الخوف وصورتها: أن ينقسم الجيش قسمين قسم يقف تجاه العدو وقسم يصلي مع القائد ركعة، ويقف الإمام مكانه فيتمون لأنفسهم ركعة، ويسلمون ويقفون وجاه العدو، ويأتي القسم الذي كان واقفاً تجاه العدو فيصلي بهم الإمام القائد ركعة ويسلم ويتمون لأنفسهم ركعة ويسلمون، وفي كلا الحالين هم آخذون أسلحتهم لا يضعونها على الأرض خشية أن يميل عليهم العدو وهم عزل فيكبدهم خسائر فادحة هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وإذا كنت[2] فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من

---

(١) اختلف في المسافة التي تقصر فيها الصلاة، والجمهور على أنّها أربعة برد، واختلفوا في مسافة الميل الذي هو جزء البريد، فالذي رجّحه علماء المالكية هو: أنّ الميل: ألفا ذراع وعليه فمسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا أي كيلو متر وهذا قول وسط بين قول من قال لا يقصر في أقل من سبعين ميلا، وبين من قال كل سفر تقصر فيه الصلاة طال أو قصر ولو كان ثلاثة أميال.

(٢) شذ أبو يوسف الحنفي فقال: صلاة الخوف لا تصلى إلاّ مع رسول الله ﷺ ناظراً إلى قوله تعالى ﴿وإذا كنت فيهم﴾ وعليه ما لم يكن فيهم رسول الله ﷺ فلا تصلى صلاة الخوف، وردّ هذا علماء السلف والخلف وقالوا بمشروعية صلاة الخوف، ما وجد خوف.

ورائكم ﴾ يريد الطائفة الواقعة تجاه العدو لتحميهم منه ﴿ ولتأتِ طائفة أخرى لم يصلوا[1] فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم[2] فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ سيق هذا الكلام لبيان علة الصلاة طائفة بعد أخرى والأمر بالأخذ بالحذر وحمل الأسلحة في الصلاة، ومن هنا رخص تعالى لهم إن كانوا مرضى وبهم جراحات أو كان هناك مطر فيشق عليهم حمل السلاح أن يضعوا أسلحتهم فقال عز وجل : ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم[3] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ تذييل لكلام محذوف دل عليه السياق قد يكون تقديره فإن الكفار فجرة لا يؤمن جانبهم ولذا أعد الله لهم عذاباً مهيناً، وإنما وضع الظاهر مكان المضمر إشارة إلى علة الشر والفساد التي هي الكفر.

وقوله تعالى في آية (١٠٣) ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا[4] الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾ فإنه تعالى يأمر المؤمنين بذكره في كل الأحيان لاسيما في وقت لقاء العدو لما في ذلك من القوة الروحية التي تقهر القوى المادية وتهزمها فلا يكتفي المجاهدون بذكر الله في الصلاة فقط بل إذا قضوا الصلاة لا يتركون ذكر الله في كل حال وقوله تعالى: ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ﴾ يريد إذا ذهب الخوف وحل الأمن واطمأنت النفوس أقيموا الصلاة بحدودها وشرائطها وأركانها تامة كاملة، لا تخفيف فيها كما كانت في حال الخوف إذ قد تصلي ركعة واحدة وقد تصلى إيماءً وإشارة فقط وذلك إذا التحم المجاهدون بأعدائهم. وقوله: ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فأخبر أن الصلاة مفروضة على المؤمنين وأنها موقوتة بأوقات لا تؤدى إلا فيها.

وقوله تعالى في آية (١٠٤) ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ أي لا تضعفوا في طلب العدو

---

(١) قد اختلفت الروايات في صلاة الخوف، واختلف لذلك العلماء، إذ صلى النبي ﷺ صلاة الخوف أربعاً وعشرين مرّة، قال الإمام أحمد، وهو إمام أهل الحديث: لا أعلم أنه روي في صلاة الخوف إلاّ حديث صحيح ثابت وهي صحاح ثابتة، فعلى أيّ حديث صلى منها المصلي صلاة الخوف أجزاه إن شاء الله، وذهب مالك إلى حديث سهل بن أبي حثمه، وهو الذي ذكرته في التفسير فهو واضح سهل.

(٢) الأمتعة: جمع متاع كالأثاث، والعروض وماله علاقة بالسلاح في حالة الحرب.

(٣) في طلب الحذر تشريع للأمّة بأن تأخذ بأسباب النصر ولا تهملها بحال، فإنّ الله تعالى ربط المسبّبات بأسبابها فمن طلب النصر عليه بإعداد ما يمكنه من العدد والعتاد.

(٤) يرى جمهور المفسرين أنّ هذا الذكر المطلوب يكون بعد صلاة الخوف كقوله تعالى: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ تقوية للقلوب وتوسلا لحصول النصر على العدو المرهوب.

لإنزال الهزيمة به. ولا تتعللوا في عدم طلبهم بأنكم تألمون لجراحاتكم ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله﴾ من النصر والمثوبة العظيمة ﴿مالا يرجون﴾ فأنتم أحق بالصبر والجلد والمطالبة بقتالهم حتى النصر عليهم وقوله تعالى ﴿وكان الله عليمًا حكيمًا﴾ فيه تشجيع للمؤمنين على مواصلة الجهاد، لأن علمهم بأن الله تعالى عليم بأحوالهم والظروف الملابسة لهم وحكيم في شرعه بالأمر والنهي لهم يطمئنهم على حسن العافية لهم بالنصر على أعدائهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية صلاة القصر وهي رخصة[1] أكدها رسول الله ﷺ بقوله وعمله فأصبحت سنة مؤكدة لا ينبغي تركها.

٢ ـ مشروعية صلاة الخوف وبيان كيفيتها.

٣ ـ تأكد صلاة الجماعة بحيث لا تترك حتى في ساعة الخوف والقتال.

٤ ـ استحباب ذكر الله تعالى بعد الصلاة وعلى كل حال من قيام وقعود واضطجاع.

٥ ـ تقرير فرضية الصلاة ووجوب أدائها في أوقاتها الموقوتة لها.

٦ ـ حرمة الوهن والضعف إزاء حرب العدو والاستعانة على قتاله بذكر الله ورجائه.

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ

---

(١) كونها رخصة دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ كما دلّ عليه قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه «تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» هذا، وقد اختلف العلماء، اختلافاً كبيراً هل القصر واجب أم سنة؟ فمن قال بالوجوب. استدل بحديث عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين» ومن قال بالسنّية وهم الجمهور، ووهنوا حديثها لمخالفتها له حيث كانت تتم في السفر، وذهب بعضهم إلى أن المسافر مخير بين القصر والإتمام والراجح أنها سنة مؤكدة وذلك لكون النبي ﷺ ما ترك القصر في أسفاره أبدا.

مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

شـــرح الكلمـات :

بما أراك الله : أي بما علمكه بواسطة الوحي.

خصيمـاً : أي مخاصمًا بالغاً في الخصومة مبلغاً عظيمًا.

تجادل : تخاصم.

يختانون أنفسهم : يحاولون خيانة أنفسهم.

يستخفون : يطلبون إخفاء أنفسهم عن الناس.

وهو معهم : بعلمه تعالى وقدرته.

يبيتون : يدبرون الأمر في خفاء ومكر وخديعة.

وكيـلا : الوكيل من ينوب عن آخر في تحقيق غرض من الأغراض.

معنى الآيات :

روي أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق وإخوته[1] وكان قد سرق درعاً من دار جارٍ له يقال له قتادة وودعها عند يهودي يقال له يزيد بن السمين، ولما اتهم طعمة وخاف هو وإخوته المعرة رموا بها اليهودي وقالوا هو السارق، وأتوا رسول الله ﷺ وحلفوا على براءة أخيهم فصدقهم رسول الله ﷺ وهم بقطع يد اليهودي لشهادة بني أبيرق عليه وإذا بالآيات تنزل ببراءة اليهودي وإدانة طعمة، ولما افتضح طعمة وكان منافقاً أعلن عن ردته وهرب إلى مكة المكرمة ونقب جدار منزل ليسرق فسقط عليه الجدار فمات تحته كافراً.. وهذا تفسير لآيات قولـه تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب ﴾ أي القرآن، أيها الرسول ﴿لتحكم بين[2]

---

(١) هم ثلاثة أنفار بشر وبشير، ومبشر يقال لهم بنو أبيرق.

(٢) يشهد لهذا قوله ﷺ في الصحيح : «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنّما أقتطع له قطعة من نار».

النـاس بمـا أراك الله﴾[1] أي بمـا أعلمـك وعـرفـك به لا بمجـرد رأي رآه غيرك من الخـائنين وعاتبه ربه تعالى بقوله ﴿ ولا تكن للخائنين خصيمًا ﴾ أي مجادلاً عنهم، فوصم تعالى بني أبـيرق بالخيانة، لأنهم خانوا أنفسهم بدفعهم التهمة عنهم بأيمانهم الكاذبة. ﴿ واستغفر[2] الله ﴾ من أجل ما هممت به من عقوبة اليهودي، ﴿ إن الله كان غفوراً رحيمًا ﴾ فيغفر لك ما هممت به ويرحمك ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ حيث اتهموا اليهودي كذباً وزوراً، ﴿ إن الله لا يحب من كان خوانـاً أثيمًا ﴾ كطعمـة بن أبـيرق ﴿ يستخفـون[3] من الناس ﴾ حياء منهم، ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ ولا يستحيون منه، وهو تعالى معهم في الوقت الذي كانوا يدبرون كيف يخرجون من التهمة بإلصاقها باليهودي البريء، وعزموا أن يحلفـوا على براءة أخيهم وإتهـام اليهودي هذا القول مما لا يرضاه الله تعالى. . وقوله عز وجل : ﴿ وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾ فما قام به طعمة من سرقة الدرع ووضعها لدى اليهودي ثم اتهامهم اليهودي، وحلفهم على براءة أخيهم كل ذلك جرى تحت علم الله تعالى والله به محيط، فسبحانه من إله عليم عظيم. وقوله تعالى: ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ أي ياهؤلاء ﴿جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴾ هذا الخطاب موجه إلى الذين وقفوا إلى جنب بني أبيرق يدفعون عنهم التهمة فعاتبهم الله تعـالى بقـولـه : ﴿هاأنتم هؤلاء جادلتهم عنهم﴾، اليوم في هذه الحياة الدنيا لتدفعوا عنهم تهمة السرقة ﴿ فمن[4] يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴾ يتولى الدفاع عنهم في يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً والأمر كله لله فتضمنت الآية تقريعاً شديداً حتى لا يقف أحد بعد موقفاً مخزياً كهذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ لايجوز الحكم بغير ما أنزل الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

٢ ـ لا يجوز الوقوف إلى جنب الخونة الظالمين نصرة لهم.

---

(١) ﴿بما أراك الله﴾ معناه على قوانين الشرع إمّا بوحي ونص أو بنظر جار على سنن الوحي.

(٢) فيه إرشاد للأمة وتعليم لها إذ الرسول ﷺ لم يقارف ذنبا وكل ما في الأمر أنّه همّ على ظنّ منه ودفع الله عنه ما همّ به بنزول الآية، أو استغفاره لما همّ به هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(٣) أي يستترون.

(٤) الاستفهام هنا للانكار، والتوبيخ، والتقريع.

٣ ـ وجوب الاستغفار من الذنب كبيراً كان أو صغيراً.

٤ ـ وجوب بغض الخوّان الأثيم أيّاً كان.

٥ ـ استحباب الوعظ والتذكير بأحوال يوم القيامة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

شـرح الكلمـات :

سوءاً : السوء: مايسيء إلى النفس أو إلى الغير.

أو يظلم نفسه : ظلم النفس: بغشيان الذنوب وارتكاب الخطايا.

إثماً : الإثم: ما كان ضاراً بالنفس فاسداً.

بريئاً : البريء: من لم يجن جناية قد اتهم بها.

احتمل بهتاناً : تحمل بهتاناً: وهو الكذب المحير لمن رمي به.

الكتاب والحكمة : الكتاب: القرآن والحكمة السنة.

معنى الآيات :

هذا السياق معطوف على سابقه في حادثة طعمة بن أبيرق وهو يحمل الرحمة الإلهية لأولئك الذين تورطوا في الوقوف إلى جنب الخائن ابن أبيرق فأخبرهم تعالى أن من يعمل

سوءاً يؤذي به غيره أو يظلم نفسه بارتكاب ذنب من الذنوب ثم يتوب إلى الله تعالى باستغفاره والإنابة إليه يتب الله تعالى عليه ويقبل توبته وهو معنى قوله تعالى في الآية (١١٠) ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر[١] الله يجد الله غفوراً رحيمًا ﴾ يغفر له ويرحمه.

قوله تعالى ﴿ من يكسب إثما ﴾ أي ذنباً من الذنوب صغيرها وكبيرها ﴿ فإنما يكسبه على نفسه ﴾ إذ هي التي تتدسّى به وتؤاخذ بمقتضاه إن لم يغفر لها. ولا يؤاخذ به غيرها وكان الله عليمًا أي بذنوب عباده حكيماً أي في مجازاتهم بذنوبهم فلا يؤاخذ نفساً بغير ما اكتسبت ويترك نفساً قد اكتسبت

(١١٢) يخبر تعالى ان من يرتكب خطيئة ضد أحد، أو يكسب إثمًا ويرمي به أحداً بريئاً منه قد تحمل تبعة عظيمة قد تصليه نار جهنم وهو معنى قوله: ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم[٢] به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثمًا مبيناً ﴾.

وفي الآية (١١٣) يواجه الله تعالى رسوله بالخطاب ممتناً عليه بما حباه به من الفضل والرحمة فيقول: ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك ومايضلون إلا أنفسهم ومايضرونك من شيء ﴾، والمراد بالطائفة التي ذكر الله تعالى هم بنو أبيرق أخوة طعمة وقوله ﴿ ومايضلون إلا أنفسهم[٣] ﴾، فهو كما قال عز وجل ضلالهم عائد عليهم أما الرسول فلن يضره ذلك وقوله تعالى: ﴿ وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيمًا ﴾ امتنان من الله تعالى على رسوله بأنه أنزل عليه القرآن أعظم الكتب وأهداها وعلمه الحكمة وهي ما كشف له من أسرار الكتاب الكريم، وما أوحي إليه من العلوم والمعارف التي كلها نور وهدى مبين، وعلمه من المعارف الربانية ما لم يكن يعلم قبل ذلك وبهذا كان فضله على رسوله عظيمًا فلله الحمد والمنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير مبدأ التوبة تجب ما قبلها، ومن تاب تاب الله عليه.

٢ ـ عظم ذنب من يكذب على البرءاء، ويتهم الأمناء بالخيانة.

---

(١) المراد بالاستغفار: التوبة وطلب العفو من الله تعالى عمّا مضى من الذنوب قبل التوبة.

(٢) أي ينسبه إليه.

(٣) إذ نتائج الضلال وعوائده وهي الخسران عائدة عليهم لا على الرسول ﷺ.

٣ ـ تأثير الكلام على النفوس حتى أن الرسول ﷺ كاد يضلله بنو أبيرق فيبرىء الخائن ويدين البرىء إلا أن الله عصمه.

٤ ـ عاقبة الظلم عائدة على الظالم.

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

شـــرح الكلمـات :

نجواهم[1] : النجـوى: المسـارة بالكـلام، ونجواهم: أحاديثهم التي يسرها بعضهم إلى بعض.

أو بمعروف[2] : المعروف: ماعرفه الشرع فأباحه، أو استحبه أو أوجبه.

ابتغاء مرضاة الله : أي طلباً لمرضاة الله أي للحصول على رضا الله عز وجل.

نؤتيه : نعطيه والأجر العظيم: الجنة ومافيها من نعيم مقيم.

يشاقق الرسول : يحاده ويقاطعه ويعاديه. كمن يقف في شق، والآخر في شق.

ويتبع غير سبيل المؤمنين : أي يخرج عن إجماع المسلمين.

نوله ماتولى : نخـذلـه فنتركه وماتولاه من الباطل والشر والضلال حتى يهلك فيه.

---

(١) النجوى: مشتقة من نجوت الشيء أنجوه إذا خلّصته وأفردته، والنجوى من الأرض: ما ارتفع منها دون ما حواليه، ومن ناجى احداً فقد خلصه وأفرده له، وتسمى الجماعة نجوى نحو هم عَدْلٌ قال تعالى: ﴿وإذ هم نجوى﴾.

(٢) المعروف: لفظ يعمّ جميع ألفاظ البرّ أمر الله تعالى به في كتابه فقال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ أي المعروف: قال الحطيئة:

مَنْ يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

ونصله نار جهنم : أي ندخله النار ونحرقه فيها.

معنى الآيتين :

مازال السياق في بني أبيرق ففي الآية الأولى (١١٤) يخبر تعالى أنه لاخير في كثير من أولئك المتناجين ولا في نجواهم لنفاقهم وسوء طواياهم اللهم إلا في نجوى أمر أصحابها بصدقة تعطى لمحتاج إليها من المسلمين، أو معروف[1] استحبه الشارع أو أوجبه من البر والإحسان أو إصلاح بين الناس للإبقاء على الألفة والمودة بين المسلمين. ثم أخبر تعالى أن من يفعل ذلك المذكور من الصدقة والمعروف والإصلاح[2] بين الناس طلباً لمرضاة الله تعالى فسوف يثيبه بأحسن الثواب ألا وهو الجنة دار السلام إذ لا أجر أعظم من أجر يكون الجنة.

هذا مادلت عليه الآية الأولى أما الثانية (١١٥) فإن الله تعالى يتوعد أمثال طعمة بن أبيرق فيقول جل ذكره: ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ أي يخالفه ويعاديه ﴿من بعد ماتبين له الهدى﴾ أي من بعد ماعرف أنه رسول الله حقاً جاء بالهدى ودين الحق، ثم هو مع معاداته للرسول يخرج من جماعة المسلمين ويتبع غير سبيلهم[3] هذا الشقي الخاسر ﴿نوله ماتولى﴾ أي نتركه لكفره وضلاله خذلاناً له في الدنيا ثم نصله نار جهنم يحترق فيها، وبئس المصير جهنم يصير إليها المرء ويخلد فيها.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ حرمة تناجي إثنين دون الثالث لثبوت ذلك في السنة.

٢ ـ الاجتماعات السرية لا خير فيها إلا اجتماعاً كان لجمع صدقة، أو لأمر بمعروف أو إصلاح بين متنازعين من المسلمين مختلفين.

٣ ـ حرمة الخروج عن أهل السنة والجماعة، واتباع الفرق الضالة التي لا تمثل الإسلام إلا في دوائر ضيقة كالروافض ونحوهم..

---

(١) قيل لحكيم ما أعظم المصائب؟ قال: أن تقدر على المعروف فلا تصنعه حتى يفوت، وقال في هذا المعنى الشاعر:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون

(٢) ورد في إصلاح ذات البين الكثير من الأحاديث منها قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين» رواه الترمذي وصححه وقال: «ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا».

(٣) هذه الآية هي دليل حرمة الخروج على جماعة المسلمين، روي أنّ الشافعي طلب دليلا على صحة الإجماع فقرأ القرآن مرّات حتى عثر على هذه الآية وقرّر أنها دليل الإجماع. وهو كذلك.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

شــرح الكلمـات :

أن يشرك به : أن يعبد معه غيره من مخلوقاته بأي عبادة كانت.

إن يدعون : أي مايدعون.

إلا إناثاً : جمع أنثى لأن الآلهة مؤنثة، أو أمواتاً لأن الميت يطلق عليه لفظ أنثى بجامع عدم النفع.

مريداً : بمعنى مارد على الشر والإغواء للفساد.

نصيباً مفروضاً : حظاً معيناً. أو حصة معلومة.

فليبتكن [1] : فليقطعن.

خلق الله : مخلوق الله أي ماخلقه الله تعالى.

الشيطان : الخبيث الماكر الداعي إلى الشر سواء كان جنياً أو إنسياً.

---

(١) البتك: القطع، يقال: سيف باتك.

يمنيهم : يجعلهم يتمنون كذا وكذا ليلهيهم عن العمل الصالح.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك[1] به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ إخبار منه تعالى عن طعمة بن أبيرق بأنه لايغفر له وذلك لموته على الشرك، أما إخوته الذين لم يموتوا مشركين فإن أمرهم إلى الله تعالى إن شاء غفر لهم وإن شاء آخذهم كسائر مرتكبي الذنوب غير الشرك والكفر. وقوله تعالى ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ أي ضل عن طريق النجاة والسعادة ببعده عن الحق بعداً كبيراً وذلك بإشراكه بربه تعالى غيره من مخلوقاته.

وقوله تعالى ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾. هذا بيان لقبح الشرك وسوء حال أهله فأخبر تعالى أن المشركين مايعبدون إلا أمواتاً لايسمعون ولا يبصرون ولاينطقون ولا يعقلون. إذ أوثانهم ميتة وكل ميت فهو مؤنث زيادة على أن أسماءها مؤنثة كاللات والعزى ومناة ونائلة، كما هم في واقع الأمر يدعون شيطاناً مريداً إذ هو الذي دعاهم إلى عبادة الأصنام فعبدوها فهم إذاً عابدون للشيطان في باطن الأمر لا الأوثان، ولذا قال تعالى: ﴿ وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً[2] ﴾ لعنه الله وأبلسه عند إبائه السجود لآدم، ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً[3] ﴾ أي عدداً كبيراً منهم يعبدونني ولا يعبدونك وهم معلومون معروفون بمعصيتهم إياك، وطاعتهم لي. وواصل العدو تبجحه قائلا: ﴿ ولأضلنهم ﴾ يريد عن طريق الهدى ﴿ ولأمنينهم ﴾ يريد أعوقهم عن طاعتك بالأماني الكاذبة بأنهم لا يلقون عذاباً أو أنه سيغفر لهم. ﴿ ولآمرنهم ﴾ فيطيعوني ﴿فليبتكن[4] آذان الأنعام﴾ أي ليجعلون لآلهتهم نصيباً مما رزقتهم ويعلمونها بقطع آذانها لتعرف أنها للآلهة كالبحائر والسوائب التي يجعلونها للآلهة، ﴿ولآمرنهم﴾ أيضاً فيطيعونني فيغيرون خلق الله بالبدع

---

(١) في هذه الآية ردّ على الخوارج الذين يكفرون بالذنب دون الشرك ويوجبون الخلود في النار لمن مات على كبيرة قال علي رضي الله عنه: ما في القرآن آية أحبّ إليّ من هذه: ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ رواه الترمذي.

(٢) أطلق الدعاء وأريد به العبادة، وهو إطلاق شائع في القرآن الكريم لأن الدعاء هو العبادة إذ طاعتهم للشيطان عبادة في حدّ ذاتها إذ المطاع في معصية الله معبود قال تعالى: ﴿واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ أي آلهة وذلك لمّا أطاعوهم في معصية الله تعالى.

(٣) قيل كان نصيبه من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين لحديث مسلم: «أبعث بعث النار فيقول وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» المخاطب آدم عليه السلام.

(٤) أجاز الجمهور خصاء الغنم لفائدة اللحم، وحرّموا خصاء غيرها، وخاصة الآدمي، وأجازوا الوسم في غير الوجه للحيوان ليعرف به وهو كذلك، أمّا الوشم فحرام للأحاديث الصحاح فيه.

والشرك، والمعاصي كالوشم والخصي. هذا ما قاله الشيطان ذكره تعالى لنا فله الحمد. ثم قال تعالى ﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ لأن من والى الشيطان عادى الرحمن ومن عادى الرحمن تم له والله أعظم الخسران يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ يعـدهم ويمنيهم ﴾ فيعـوقهم عن طلب النجاة والسعادة ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ إذ هو لا يملك من الأمر شيئاً فكيف يحقق لهم نجاة أو سعادة إذاً ؟

وهذا حكم الله تعالى يعلن في صراحة ووضوح فليسمعوه : ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً ﴾ أي معدلاً أو مهرباً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ سائر الذنوب كبائرها وصغائرها قد يغفرهاالله تعالى لمن شاء إلا الشرك فلا يغفر لصاحبه.

٢ ـ عبدة الأصنام والأوهام والشهوات والأهواء هم في الباطن عبدة الشيطان إذ هو الذي أمرهم فأطاعوه.

٣ ـ من مظاهر طاعة الشيطان المعاصي كبيرها وصغيرها إذ هو الذي أمر بها وأطيع فيها.

٤ ـ حرمة الوشم والوسم والخصاء إلا ما أذن فيه الشارع.[1]

٥ ـ سلاح الشيطان العدة الكاذبة والأمنية الباطلة، والزينة الخادعة.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

شـــرح الكلمـات :

آمنوا : صدقوا بالله[2] ورسوله.

وعملوا الصالحات : الطاعات إذ كل طاعة لله ورسوله هي عمل صالح.

(١) أذن الشارع في وسم الماشية ولكن في غير الوجه كما أذن وخصي الغنم ضأناً أو ماعزاً لمصلحة إصلاح لحومها
(٢) وصدّقوا بكل ما أخبر الله به ورسوله في شأن الغيب كالملائكة والبعث والجزاء في الدار الآخرة.

قيلاً[1] : أي قولاً .

معنى الآية الكريمة :

لما بين تعالى جزاء الشرك والمشركين عبدة الشيطان بين في[2] هذه الآية جزاء التوحيد والموحدين عبيد الرحمن عز وجل، وأنه تعالى سيدخلهم بعد موتهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار وأن خلودهم مقدر فيها بإذن الله ربهم فلا يخرجون منها أبداً وعدهم ربهم بهذا وعد الصدق، وليس هناك من هو أصدق وعداً ولا قولا من الله تعالى .

هداية الآية

من هداية الآية

١ ـ الإيمان الصادق والعمل الصحيح الصالح هما مفتاح الجنة وسبب[3] دخولها .

٢ ـ صِدْق وعْدِ الله تعالى، وصِدق قوله عز وجل .

٣ ـ وجوب صِدق الوعد من العبد لأن خلف الوعد من النفاق لحديث[4] « وإذا واعد أخلف » .

٤ ـ وجوب صدق القول والحديث لأن الكذب من النفاق لحديث وإذا حدث كذب .

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ

---

(١) القيل، والقول، والقال: بمعنى واحد .

(٢) هذا من منهج القرآن الخاصّ به وهو الجمع بين الترهيب والترغيب لأنّه كتاب هداية وتربية فلذا يجمع بين الوعد والوعيد وذكر الشيء وضدّه .

(٣) لأنّه بالإيمان والعمل الصالح تزكو النفس البشرية وتطهر، وإذا زكت وطهرت تأهلت لدخول الجنة، إذ هي دار الأبرار ودار المتقين .

(٤) رواه البخاري وغيره «آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا واعد أخلف، وإذا ائتمن خان» .

أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

شرح الكلمات :

أمانيكم : جمع أمنية : وهي ما يقدره المرء في نفسه ويشتهيه مما يتعذر غالباً تحقيقه.

أهل الكتاب : اليهود والنصارى.

سوءاً : كل ما يسيء من الذنوب والخطايا.

ولياً : يتولى أمره فيدفع عنه المكروه.

نقيراً : النقير: نقرة في ظهر النواة.

ملة إبراهيم : عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه الله تعالى.

خليلاً : الخليل: المحب الذي تخلل حبه مسالك النفس فهو أكبر من الحبيب.

محيطاً : علما وقدرة إذ الكون كله تحت قهره ومدار بقدرته وعلمه.

معنى الآيات :

روي أن هذه الآية نزلت[1] لما تلاحى مسلم ويهودي وتفاخرا فزعم اليهودي أن نبيهم وكتابهم ودينهم وجد قبل كتاب ونبي المسلمين ودينهم فهم أفضل، ورد عليه المسلم بما هو الحق فحكم الله تعالى بينهما بقوله: ﴿ليس بأمانيكم﴾ أيها المسلمون ﴿ولا أماني أهل الكتاب﴾ من يهود ونصارى أي ليس الأمر والشأن بالأماني العذاب، وإنما الأمر والشأن في هذه القضية أنه سنة الله تعالى في تأثير الكسب الإرادي على النفس بالتزكية أو التدسية فمن عمل[2] سوءاً من الشرك والمعاصي، كمن عمل صالحاً من التوحيد والطاعات يجز بحسبه

(١) روي أيضاً عن قتادة أنه قال: تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب فقال اهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أحق بالله منكم، وقال المؤمنون: نبيّنا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على سائر الكتب فنزلت. . ولا تعارض بين الرأيين.

(٢) هذه الآية عامة في الكافر والمؤمن ويؤكد عمومها رواية مسلم «أن النبي ﷺ لمّا نزلت وبلغت من المسلمين مبلغاً قال: قاربوا وسدّدوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها» ويفسرها لنا أيضاً قوله ﷺ في رواية أحمد لأبي بكر وقد قال لمّا نزلت: كيف الفلاح يا رسول الله بعد هذه الآية؟ فكل سوء عملناه جزينا به: غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ قال بلى قال فهو مما تجزون».

فالسوء يخبث النفس فيحرمها من مجاورة الأبرار والتوحيد والعمل الصالح يزكيها فيؤهلها لمجاورة الأبرار، ويبعدها عن مجاورة الفجار. وقوله تعالى: ﴿ ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ لأن سنن الله كأحكامه لا يقدر أحد على تغييرها أو تبديلها بل تمضي كما هي فلا ينفع صاحب السوء أحد، ولا يضر صاحب الحسنات آخر. وقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ فإنه تقرير لسنته تعالى في تأثير الكسب على النفس والجزاء بحسب حال النفس زكاة وطهراً وتدسية وخبثاً، فإنه من يعمل الصالحات وهو مؤمن تطهر نفسه ذكراً كان أو أنثى ويتأهل بذلك لدخول الجنة، ولايظلم مقدار نقير فضلاً عما هو أكثر وأكبر وقوله تعالى: ﴿ ومن[1] أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ إشادة منه تعالى وتفضيل للدين الإسلامي على سائر الأديان إذ هو قائم على أساس إسلام الوجه[2] لله وكل الجوارح تابعة له تدور في فلك طاعة الله تعالى مع الإحسان الكامل وهو إتقان العبادة وأداؤها على نحو ماشرعها الله تعالى واتباع ملة إبراهيم بعبادة الله تعالى وحده والكفر بما سواه من سائر الآلهة. وقوله ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾ فيه زيادة تقرير فضل الإسلام الذي هو دين إبراهيم الذي اتخذه ربه خليلاً وقوله تعالى: ﴿ ولله مافي السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً ﴾ زيادة على أنه إخبار بسعة ملك الله تعالى وسعة علمه وقدرته وفضله فإنه رفع لما قد يتوهم من خلة إبراهيم أن الله تعالى مفتقر إلى إبراهيم أو له حاجة إليه، فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وإبراهيم في جملة ذلك فكيف يفتقر إليه أو يحتاج إلى مثله وهو رب كل شيء ومليكه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ ما عند الله لا ينال بالتمني ولكن بالإيمان والعمل الصالح أو التقوى والصبر والإحسان.

٢ ـ الجزاء أثر طبيعي للعمل وهو معنى ﴿ من يعمل سوء يجز به ﴾، ومن يعمل من

---

(١) الاستفهام انكاري أي: ينكر أن يوجد من هو أحسن دينا منه.

(٢) أفادت هذه الآية حكماً عظيماً، وهو أنه لا يصح عمل بدونه أبداً، وهو الإخلاص والمتابعة، وهو أن يكون العمل خالصاً لله، وأن يكون صوابا، أي وفق ما شرع الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ.

الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة﴾

٣ ـ فضل الإسلام على سائر الأديان .

٤ ـ شرف إبراهيم عليه السلام باتخاذه ربه[١] خليلاً .

٥ ـ غنى الله تعالى عن سائر مخلوقاته ، وافتقار سائر مخلوقاته إليه عز وجل .

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ
بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ
ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

---

(١) وقد شرف بالخلة محمد ﷺ ففي الصحيحين أنه ﷺ خطبهم آخر خطبة فقال: «أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر ابن أبي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله».

شـرح الكلمـات :

يستفتونك[1]	: يطلبون منك الفتيا في شأن النساء وميراثهن .
وما يتلى عليكم	: يقرأ عليكم في القرآن .
ما كتب لهن	: مافرض لهن من المهور والميراث .
بالقسط	: بالعدل
نشوزاً	: ترفعاً وعدم طاعة .
وأحضرت الأنفس الشح	: جبلت النفوس على الشح فلا يفارقها أبداً .
فتذروها كالمعلقة	: فتتركوها كالمعلقة ماهي بالمزوجة ولا المطلقة .
من سعته	: من رزقه الواسع .
وكان الله واسعاً حكيما	: واسع الفضل حكيًما يعطي فضله حسب علمه وحكمته .

معنى الآيات :

هذه الآيات الأربع كل آية منها تحمل حكمًا شرعياً خاصا فالأولى (١٢٧) نزلت إجابة لتساؤلات من بعض الأصحاب حول حقوق النساء مالهن وما عليهن لأن العرف الذي كان سائداً في الجاهلية كان يمنع النساء والأطفال من الميراث بالمرة وكان اليتامى لا يراعى لهم جانب ولا يحفظ لهم حق كامل فلذا نزلت الآيات الأولى من هذه السورة وقررت حق المرأة والطفل في الإرث وحضت على المحافظة على مال اليتامى وكثرت التساؤلات لعل قرآناً ينزل إجابة لهم حيث اضطربت نفوسهم لما نزل فنزلت هذه الآية الكريمة تردهم إلى ما في أول السورة وأنه الحكم النهائي في القضية فلا مراجعة بعد هذه، فقال تعالى وهو يخاطب نبيه ﷺ ﴿ ويستفتونك في النساء ﴾ أي ومازلوا يستفتونك في النساء، أي في شأن مالهن وما عليهن من حقوق كالإرث والمهر وما إلى ذلك. قل لهم أيها الرسول ﴿الله يفتيكم فيهن﴾ وقد أفتاكم فيهن وبين لكم مالهن وما عليهن. وقوله تعالى: ﴿ ومايتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء التي لا تؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن ﴾ أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء في أول السورة كافٍ لكم لا تحتاجون معه إلى من يفتيكم أيضاً إذ بين لكم أن من كانت تحته يتيمة دميمة لا يرغب في نكاحها فليعطها مالها وليزوجها غيره وليتزوج هو من

---

(١) روى أشهب عن مالك أنّ النبي ﷺ: كان يُسأل فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحي .

شاء، ولا يحل له أن يحبسها في بيته لأجل مالها، وإن كانت جميلة وأراد أن يتزوجها فليعطها مهر مثيلاتها ولا يبخسها من مهرها شيئاً. وقوله ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ أي وقد أفتـاكم بمايتـلى عليكم من الآيات في أول السورة في المستضعفين من الولدان حيث قد أعطاهم حقهم وافياً في آية ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ الآية.

فلم هذه المراجعات والاستفتاءات ؟؟ وقوله تعالى ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أي وما تلى عليكم في أول السورة كان آمراً إياكم بالقسط لليتامى والعدل في أموالهم فارجعوا إليه في قولـه: ﴿ وآتـوا اليتـامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ﴾ وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ حث لهم على فعل الخير بالإحسان إلى الضعيفين المرأة واليتيم زيادة على توفيتهما حقوقهما وعدم المساس بها. هذا مادلت عليه الآية الكريمة ﴿ ويستفتونك . . . . . ﴾ إلخ.

أما الآية الثانية (١٢٨) ﴿ وإن امرأة خافت[١] من بعلها نشوزاً أو إعراضاً[٢] فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً ﴾ فقد تضمنت حكمًا عادلاً رحيًما وإرشاداً ربانيا سديداً وهو أن الزوجة إذا توقعت من زوجها نشوزاً أي ترفعاً عليها أو إعراضاً عنها، وذلك لكبر سنها أو لقلة جمالها وقد تزوج عليها غيرها في هذا الحال في الإمكان أن تجري مع زوجها صلحاً يحفظ لها بقاءها في بيتها عزيزة محترمة فتتنازل له عن بعض حقها في الفراش وعن بعض ما كان واجبـاً لها وهـذا خير لها من الفـراق. ولـذا قال تعـالى ﴿ والصلح خير ﴾ وقـولـه تعالى ﴿ واحضرت الأنفس الشح[٣] ﴾ يريد أن الشح ملازم للنفس البشرية لايفارقها والمرأة كالرجل في هذا إلا أن المرأة أضن وأشح بنصيبها في الفراش وبباقي حقوقها من زوجها. إذاً فليراع الزوج هذا ولذا قال تعالى ﴿ وإن تحسنوا ﴾ أيها الأزواج إلى نسائكم ﴿وتتقوا﴾ الله تعالى

---

(١) خافت: أي توقعت وليس بمعنى تيقنت.

(٢) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضاً﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول له أجعلك من شأني في حل فنزلت هذه الآية.
كما روي أن الآية نزلت في سودة أم المؤمنين لما أسنت أراد رسول الله ﷺ أن يطلقها فآثرت الكون معه فقالت له: امسكني واجعل يومي لعائشة ففعل ﷺ وماتت وهي من أزواجه» رواه الترمذي. قالوا في الفرق بين النشوز والإعراض: أنّ النشوز هو التباعد عنها، وأن الإعراض ألاّ يكلمها ولا يأنس بها.

(٣) الشح: هو البخل ومنه الحديث: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى» غير أنّ الشح يطلق على حرص النفس على الحقوق وقلة التسامح فيها.

فيهن فلا تحرموهن مالهن من حق في الفراش وغيره فإن الله تعالى يجزيكم بالإحسان إحساناً وبالخير خيراً فإنه تعالى ﴿بما تعملون خبير﴾ .

هذا مادلت عليه الآية (١٢٨) وأما الآية الثالثة (١٢٩) وهي قوله تعالى: ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم[١] فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيمًا ﴾ فقد تضمنت حقيقة كبرى وهي عجز الزوج عن العدل بين زوجاته اللائي في عصمته فمهما حرص على العدل وتوخاه فإنه لن يصل إلى منتهاه أبداً والمراد بالعدل هنا في الحب والجماع. أما في القسمة والكساء والغذاء والعشرة بالمعروف فهذا مستطاع له، ولما علم تعالى هذا من عبده رخص له في ذلك ولم يؤاخذه بميلة النفس كما قال رسول الله ﷺ « اللهم هذا قسمي[٢] فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » والمحرم على الزوج هو الميل[٣] الكامل إلى إحدى زوجاته عن باقيهن، لأن ذلك يؤدي أن تبقى المؤمنة في وضع لا هي متزوجة تتمتع بالحقوق الزوجية ولا هي مطلقة يمكنها أن تتزوج من رجل آخر تسعد بحقوقها معه وهذا معنى قوله تعالى ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وإن تصلحوا ﴾ أي أيها الأزواج في أعمالكم وفي القسم بين زوجاتكم وتتقوا الله تعالى في ذلك فلا تميلوا كل الميل، ولا تجوروا فيما تطيقون العدل فيه فإنه تعالى يغفر لكم ماعجزتم عن القيام به لضعفكم ويرحمكم في دنياكم وأخراكم لأن الله تعالى كان ومازال غفوراً للتائبين رحيمًا بالمؤمنين.

هذا مادلت عليه الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٣٠) وهي قوله تعالى : ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته[٤] وكان الله واسعاً حكيما ﴾ فإن الله تعالى يعد الزوجين الذين لم يوفقا للإصلاح بينهما لشح كل منهما بماله وعدم التنازل عن شيء من ذلك يعدهما ربهما إن هم تفرقا بالمعروف أن يغني كلا منهما من سعته وهو الواسع الحكيم فالمرأة يرزقها زوجاً خيراً من زوجها الذي فارقته، والرجل يرزقه كذلك امرأة خيراً ممن فارقها لتعذر الصلح بينهما.

---

(١) هذا دال على أنّ المحبة أمر قهرى يعجز الإنسان عن جلبها كما يعجز عن دفعهاوإن كانت لها أسباب لا يملك الإنسان توفيرها فلذا عفي عن هذا الحب القهري وجودا وعدماً.

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح ، ورواه غيره، والمراد بقوله : «فيما تملك ولا أملك» القلب لأنّ القلوب بيد الله يقلبها كيف شاء.

(٣) ورد في ذنب الميل إلى إحدى الزوجات وعيد شديد وذلك فيما رواه أحمد وأصحاب السنن عن النبي ﷺ : «من كانت له امرأتان فمال إلى احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيّه ساقط».

(٤) هناك إشارة إلى أنّ هذا الوعد الإلهي مشروط بمحاولة الصلح أوّلا فإن لم يتم وتفرقا على طاعة الله تعالى أنجز الله تعالى لهما ما وعد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير مبدأ إرث النساء والأطفال، والمحافظة على مال اليتامى وحرمة أكلها.

٢ ـ استحباب الصلح بين الزوجين عند تعذر البقاء مع بعضهما إلا به.

٣ ـ تعذر العدل بين الزوجين في الحب والوطء استلزم عدم المؤاخذة به واكتفى الشارع بالعدل في الفراش والطعام والشراب والكسوة والمعاشرة بالمعروف.

٤ ـ الترغيب في الإصلاح والتقوى وفعل الخيرات.

٥ ـ الفرقة بين الزوجين إن كانت على مبدأ الإصلاح والتقوى أعقبت خيراً عاجلاً أو آجلاً.

وَلِلَّهِ مَا فِي[1] ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

---

(١) إن قيل ما وجه تكرار جملة : ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ثلاث مرات فالجواب : أنه تعالى لما ذكر أن الزوجين إذا تفرّقا بعد مصالحة وعلى تقوى، يغنيهما الله ، برهن على ذلك بأن له ما في السموات وما في الأرض، ومن كان كذلك فهو قادر على إغنائهما ، ولما وصى عباده بتقواه، وهي طاعته بفعل الأمر وترك النهي أعلم أنه قادر على عقوبة من عصاه، وأنه لم يوص بالتقوى لحاجة به إنه يملك ما في السموات وما في الأرض ومن كان كذلك فلا حاجة به إلى أحد، ولمّا ذكر غناه وحمده دلّل عليهما بأن له ما في السموات وما في الأرض وأنه الحفيظ لعباده المدبر لهم.

شـــرح الكلمـات :

ولله ما في السموات ومافي الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً.

وصينا : عهدنا إليهم بذلك أي بالتقوى.

أوتوا الكتاب : اليهود والنصارى.

الوكيل : من يفوض إليه الأمر كله ويقوم بتدبيره على أحسن الوجوه.

ثواب الدنيا : جزاء العمل لها.

ثواب الآخرة : جزاء العمل لها وهو الجنة.

سميعا بصيراً : سميعاً: لأقوال العباد بصيراً: بأعمالهم وسيجزيهم بها خيراً أو شراً.

معنى الآيتين :

لما وعد تبارك وتعالى كلا من الزوجين المتفرقين بالإغناء عن صاحبه ذكر أنه يملك مافي السموات وما في الأرض ولذا فهو قادر على اغنائهما لسعة ملكه وعظيم فضله، ثم واجه بالخطاب الكريم الأمة جمعاء ومن بينها بني أبيرق فقال ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يريد من اليهود والنصارى وغيرهم أوصاهم بتقواه عز وجل فلا يقدموا على مشاقته ولا يخرجوا عن طاعته بترك ماأوجب أو بفعل ماحرم، ثم أعلمهم أنهم وإن كفروا كما كفر طعمة وارتد فإن ذلك غير ضائره شيئاً، لأنه ذو الغنى والحمد، وكيف وله جميع مافي السموات وما في الأرض من كائنات ومخلوقات وهو ربها ومالكها والمتصرف فيها.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (١٣١) أما الآية الثانية (١٣٢) فقد كرر تعالى فيها الإعلان عن استحقاقه الحمد والغنى وذلك لملكه جميع مافي السموات وما في الأرض ولقيوميته عليهما وكفى به تعالى حافظاً ووكيلاً. وفي الآية الثالثة (١٣٣) يخبر تعالى أنه قادر على إذهاب كافة الجنس البشري واستبداله بغيره وهو على كل ذلك قدير، فقال تعالى: ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس[1] ويأت بآخرين﴾ وذلك لعظيم قدرته وكفاية وكالته. وفي الآية الرابعة والأخيرة في هذا السياق (١٣٤) يقول تعالى مرغباً عباده فيما عنده من خير الدنيا والآخرة من كان يريد

---

(١) الآية تحمل تخويفاً أيّما تخويف لكل من يقصّر في واجبه من أمير ومأمور وعالم، وجاهل، وغني، وفقير، إذ لكل واجبات يجب أن يقوم بها كلّ بحسب ما طولب به وفرض عليه فالأمير عليه العدل والعالم أن يعلم والجاهل أن يتعلم وهكذا.

بعمله ثواب الدنيا[1] ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ فلم يقصر العبد عمله على ثواب الدنيا، وهو يعلم أن ثواب الآخرة عند الله أيضاً فليطلب الثوابين معاً من الله تعالى، وذلك بالإيمان والتقوى والإحسان، وسيجزيه تعالى بعمله ولا ينقصه له وذلك لعلمه تعالى وقدرته، ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾[2]، ومن كان كذلك فلا يخاف معه ضياع الأعمال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الوصية بالتقوى، وذلك بترك الشرك والمعاصي بعد الإيمان وعمل الصالحات.

٢ - غنى الله تعالى عن سائر خلقه.

٣ - قدرة الله تعالى على إذهاب الناس كلهم والإتيان بغيرهم.

٤ - وجوب الإخلاص في العمل لله تعالى وحرمة طلب الآخرة بطلب الدنيا.

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟

---

(١) في هذه الآية إرشاد عظيم للعباد، لقد علم تعالى أنّ الإنسان بحكم وجوده في هذه الحياة ورغبته في السعادة فيها هو يعمل لها جهده غافلا عن الحياة الآخرة التي هي أعظم لبقائها وكبر شأنها فلفت نظره إليها معلما إياه أنّه لديه تعالى ثواب كل من الحياتين فليطلب ذلك منه بالإيمان به وطاعته كما طلب الدنيا بالأعمال الموصلة إلى تحقيق السعادة فيها، وفوق ذلك أنّ ثواب العملين بيده تعالى لا بيد غيره.

(٢) هذا التذييل يربي ملكة مراقبة الله تعالى إذ مَنْ علم أنّ الله سميع لأقواله عليم بأعماله راقبه واتقاه.

ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾

شــرح الكلمـات :

قوامين : جمع قوام : وهو كثير القيام بالعدل.

بالقسط : بالعدل وهو الاستقامة والتسوية بين الخصوم.

شهداء : جمع شهيد : بمعنى شاهد.

الهوى : ميل النفس إلى الشيء ورغبتها فيه.

تلووا : أي ألسنتكم باللفظ تحريفاً له حتى لاتتم الشهادة على وجهها.

تعرضوا : تتركوا الشهادة أو بعض كلماتها ليبطل الحكم.

معنى الآيات :

قوله تعالى في هذه الآية (١٣٥) ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ أي بالعدل ﴿ شهداء لله ﴾ إذْ بشهادتكم ينتقل الحق من شخص إلى آخر حيث أقامكم الله ربكم شهداء له في الأرض تؤدى بواسطتكم الحقوق إلى أهلها، وبناء على هذا فأقيموا الشهادة لله ولو شهادتكم على أنفسكم[1] أو والديكم أو أقرب الناس إليكم وسواء كان المشهود عليه غنياً أو فقيراً فلا يحملنكم غنى الغنى ولا فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها، فالله تعالى ربهما أولى بهما وهو يعطي ويمنع بشهادتكم فأقيموها وحسبكم ذلك واعلموا أنكم إن تلووا[2] ألسنتكم بالشهادة تحريفاً لها وخروجاً بها عن أداء مايترتب عليها أو تعرضوا عنها فتتركوها أو تتركوا بعض كلماتها فيفسد معناها ويبطل مفعولها فإن الله بعملكم ذلك وبغيره خبير وسوف يجزيكم به فيعاقبكم في الدنيا أو في الآخرة ألا فاحذروا.

هذه الآية الكريمة يدخل فيها دخولا أولياً من شهدوا لأبناء أبيرق بالإسلام والصلاح كما هي

---

(١) القاعدة العامة منذ عهد بعيد أنّ القريب لا يشهد لقريبه ولكن يشهد عليه فلا يشهد الأب لابنه ولا الابن لأبيه، لوجود تهمة المحاباة للقرابة وكذا لا يجوز شهادة عدو على عدُوه وهذا مذهب عامة الفقهاء، وحتى الخادم في البيت لا يجوز شهادته لأهل البيت إذ قد يحابيهم لمنفعته.

(٢) وفسّر ابن عباس ﴿تلووا﴾ بقوله هو في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون ليّ القاضي وإعراضه لأحدهما على الآخر، فاللي على هذا هو مطل الكلام وجره حتى يفوّت فصل القضاء وإنفاذه للذي يميل القاضي عليه. ويشهد لهذا الحديث: «لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» ولا تنافي بين تفسير ابن عباس وما ذكرناه في التفسير.

خطاب للمؤمنين إلى يوم القيامة وهي أعظم آية في هذا الباب فليتق الله المؤمنون في شهاداتهم.

أما الآية الثانية (١٣٦) ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ﴾ فهي في خطاب أهل الكتاب خاصة وفي سائر المؤمنين عامة فالمؤمنون تدعوهم إلى تقوية إيمانهم ليبلغوا فيه مستوى اليقين، أما أهل الكتاب فهي دعوة لهم للإيمان الصحيح، لأن إيمانهم الذي هم عليه غير سليم فلذا دعوا إلى الإيمان الصحيح فقيل لهم ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ محمد ﴿والكتاب الذي نزل على رسوله﴾ وهو القرآن الكريم، ﴿والكتاب الذيأنزل من قبل﴾ وهو التوراة والإنجيل، لأن اليهود لايؤمنون بالإنجيل، ثم أخبرهم محذراً لهم أن ﴿من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل﴾ طريق الهدى والسعادة ﴿ضلالاً بعيداً﴾ لا ترجى هدايته، وعليه فسوف يهلك ويخسر خسراناً أبدياً.

ثم أخبرهم تعالى في الآية بعد هذه (١٣٧) مقرراً الحكم بالخسران الذي تضمنته الآية قبلها فقال عز وجل: ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا[١] ﴾ بمحمد ﷺ وكتابه وبما جاء به ﴿لم يكن الله﴾ أي لم يكن في سنة الله أن يغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ينجون به ويسعدون فيه ألا فليحذر اليهود والنصارى هذا وليذكروه، وإلا فالخلود في نار جهنم لازم لهم ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب العدل في القضاء والشهادة.

٢ ـ حرمة شهادة الزور وحرمة التخلي[٢] عن الشهادة لمن تعينت عليه.

٣ ـ وجوب الاستمرار على الإيمان وتقويته حتى الموت عليه.

٤ ـ بيان أركان الإيمان وهي الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[٣].

---

(١) في هذه الآية أنّ الكافر إذا آمن غفر له كفره وإذا ارتد يؤاخذ بكفره الأوّل والأخير سواء، وشاهده حديث مسلم: إذ قال أناس يارسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أمّا مَنْ أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء ـ كفر ـ أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام». وفي رواية: «ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر».

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: الشرك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور وما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» أو كما قال.

(٣) وبقي ركن وهو القضاء والقدر جاء ذكره في قوله تعالى من سورة القمر: ﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

٥ ـ المرتد يستتاب ثلاثة أيام وإلا قتل كفراً أخذاً من قوله : ﴿ ثم آمنوا ثم كفروا ﴾.

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

شـرح الكلمـات :

بشر المنافقين : البشـارة: الخبر الذي تتأثر به بشرة من يلقى عليه خيراً كان أو شراً.
والمنافق: من يبطن الكفر ويظهر الإيمان تقيّة ليحفظ دمه وماله.

أولياء : يوالونهم محبة ونصرة لهم على المؤمنين.

العزة : الغلبة والمنعة.

يستهزأ بها : يذكونها استخفافاً بها وإنكاراً وحجوداً لها.

يخوضوا : يتكلموا في موضوع آخر من موضوعات الكلام.

مثلهم : أي في الكفر والإثم.

يتربصون بكم : ينتظرون متى يحصل لكم إنهزام أو إنكسار: فيعلنون عن كفرهم.

نصيب : أي من النصر وعبر عنه بالنصيب القليل لأن انتصارهم على المؤمنين نادر.

نستحوذ عليكم : أي نستول عليكم ونمنعكم من المؤمنين إن قاتلوكم

سـبيلا : أي طريقاً إلى إذلالهم واستعبادهم والتسلط عليهم.

معنى الآيات :

قولـه تعالى: ﴿وبشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما﴾ يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يخبر المنافقين بلفظ البشارة لأن المخبر به يسوء وجوهم وهو العذاب الأليم وقد يكون في الدنيا بالذل والمهانة والقتل، وأما في الآخرة فهو أسوأ العذاب وأشده وهو لازم لهم لخبث نفوسهم وظلمـة أرواحهم، ثم وصفهم تعـالى بأخس صفـاتهم وشرها فقال: ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء[1] من دون المؤمنين ﴾ فيعطون محبتهم ونصرتهم وولاءهم للكافرين، ويمنعون ذلـك المؤمنين وذلك لأن قلوبهم كافرة آثمة لم يدخلها إيمان ولم يُنرها عمل الإسلام، ثم وبخهم تعالى ناعيا عليهم جهلهم فقال: ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ أي يطلبون العزة أي المنعة والغلبة من الكافرين أجهلوا أم عموا فلم يعرفوا ﴿أن العزة لله جميعا﴾ فمن أعزه الله عز ومن أذله ذل والعزة تُطلب بالإيمان وصالح الأعمال لا بالكفر والشر والفساد. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٣٨) والثانية (١٣٩).

أما الآية الرابعة (١٤٠) فإن الله تعالى يؤدب المؤمنين فيذكرهم بما أنزل عليهم في سورة الأنعام حيث نهاهم عن مجالسة أهل الباطل إذا خاضوا في الطعن في آيات الله ودينه فقال تعالى: ﴿ وإذا رأيت الذين يخضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ هذا الأدب أخذ الله تعالى به رسوله والمؤمنين، وهم في مكة قبل الهجرة، لأن سورة الأنعام مكية ولما هاجروا إلى المدينة، وبدأ النفاق وأصبح للمنافقين مجالس خاصة ينتقدون فيها المؤمنين ويخوضـون فيها في آيات الله تعالى استهزاء وسخرية ذكر الله تعالى المؤمنين بما أنزل عليهم في مكة فقال: ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات[2] الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم[3] حتى

---

(١) في الآية دليل على حرمة موالاة الكافرين، وأنها من صفات المنافقين، ومن مظاهر الموالاة المحرّمة الاستعانة بهم على أمور الدين، وعلى أذيّة المسلمين، وفي الحديث أنّ النبي ﷺ لحق به مشرك ليقاتل معه فقال له: «ارجع فإنا لا نستعين بمشرك» في الصحيح.

(٢) أوقع السماع على الآيات، والمراد سماع الكفر، والاستهزاء بها كما يقال سمعت فلاناً يلام أي سمعت اللوم فيه.

(٣) قوله «في حديث غيره» أي في غير الكفر والاستهزاء بالآيات.

يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذاً﴾ أي إذا رضيتم بالجلوس معهم وهم يخوضون في آيات الله ﴿مثلهم﴾ في الإثم والجريمة[1] والجزاء أيضاً، ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ فهل ترضون أن تكونوا معهم في جهنم، وإن قلتم لا إذا فلا تجالسوهم. ثم ذكر تعالى وصفا آخر للمنافقين يحمل التنفير منهم والكراهية والبغض لهم فقال: ﴿الذين يتربصون بكم﴾ أي ينتظرون بكم الدوائر ويتحينون الفرص ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ أي نصر وغنيمة قالوا: ﴿ألم نكن معكم﴾ فأشركونا في الغنيمة، ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ في النصر قالوا لهم ﴿ألم نستحوذ[2] عليكم﴾ أي نستول عليكم ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ أن يقاتلوكم، فأعطونا مما غنمتم، وهكذا المنافقون يمسكون العصا من الوسط فأي جانب غلب كانوا معه. ألا لعنة الله على المنافقين وما على المؤمنين إلا الصبر لأن مشكلة المنافقين عويصة الحل فالله يحكم بينهم يوم القيامة. أما الكافرون الظاهرون فلن يجعل الله تعالى لهم على المؤمنين سبيلا لا لاستئصالهم وإبادتهم، ولا لاذلالهم والتسلط عليهم ماداموا مؤمنين صادقين في إيمانهم[3]. وهذا ما ختم الله تعالى به الآية الكريمة إذ قال: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

٢ ـ الباعث للناس على اتخاذ الكافرين أولياء هو الرغبة في العزة ورفع المذلة وهذا باطل فالعزة لله ولا تطلب إلا منه تعالى بالإيمان واتباع منهجه.

٣ ـ حرمة مجالسة أهل الباطل إذا كانوا يخضون في آيات الله نقداً واستهزاء وسخرية.

٤ ـ الرضا بالكفر كفر، والرضا بالإثم إثم.

٥ ـ تكفل الله تعالى بعزة المؤمنين الصادقين ومنعتهم فلا يسلط عليهم أعداءه

---

(١) في الآية دليل على حرمة الجلوس في مجالس المعاصي، وغشيان الذنوب إلاّ أن ينكر ذلك على أصحابها، لأنّ الرضا بالمعصية معصية بل الرضا بالكفر كفر بالإجماع ويدخل في هذا مجالس أرباب الأهواء، وأصحاب البدع، والآية محكمة لا نسخ فيها.

(٢) أصل الاستحواذ: الحوط، يقال حاذه يحوذه حوذاً إذ احاطه فمعنى استحوذ أحاط واستولي وغلب.

(٣) يشهد لهذا حديث مسلم قوله ﷺ: «إنّي سألت ربي الاّ يهلكها ـ أي أمته ـ بسنة عامة وألاّ يسلط عليهم عدوّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضا» وهو معنى قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

فيستأصلونهم، أو يذلونهم ويتحكمون فيهم.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾﴾

شــرح الكلمـات :

يخادعون الله : بإظهارهم مايحب وهو الإيمان والطاعات، وإخفائهم الكفر والمعاصي.

وهو خادعهـم : بالسَّتر عليهم وعدم فضيحتهم، وبعدم إنزال العقوبة بهم.

يـــراءون : أي يظهرون الطاعات للمؤمنين كأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين.

مذبذبين : أي يترددون بين المؤمنين والكافرين فأى جانبٍ عز كانوا معه.

معنى الآيتين :

يخبر تعـالى أن المنـافقين في سلوكهم الخاص يخادعون الله تعالى بإظهارهم الإيمان به وبرسوله وهم غير مؤمنين إذ الخداع أن تري من تخادعه مايحبه منك وتستر عليه مايكرهه والله تعالى عاملهم بالمثل فهو تعالى أراهم مايحبونه وستر عليهم مايكرهونه منه وهو العذاب[(١)] المعد لهم عاجلا أو آجلاً، كما أخبر عنهم أنهم إذا قاموا إلى أداء الصلاة قاموا كسالى[(٢)] متباطئين لأنهم لا يؤمنـون بالثـواب الأخـروى فلذا هم يراءون بالأعـمال الصـالحـة المؤمنين حتى لايتهمونهم بالكفر، كما أنهم لا يذكرون الله تعالى إلا ذكراً قليلا في الصلاة[(٣)] وخارج الصلاة،

---

(١) قال الحسن البصري في الآية: يعطي كل انسان من مؤمن ومنافق نوراً يوم القيامة فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا فإذا جاءوا إلى الصراط طفىء نور كل منافق، فسرّ به قوله تعالى: ﴿وهو خادعهم﴾ وماذكرناه في التفسير أولى وإن كان هذا حاصل لقوله تعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح: «إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة ـ العشاء ـ والصبح لأنّ الصلاتين تقعان في الظلام، ولأنّ العتمة يكون المرأ فيها تعباً مرهقاً من أعمال النهار، وأمّا الصبح فإنّ غلبة النوم أشد على العبد، ولولا الخوف من السيف ما شهدوا الصلاتين.

(٣) روى مالك في الموطأ أنّ النبي ﷺ قال: «تلك صلاة المنافقين ـ ثلاثا ـ يجلس أحدهم يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان أو على قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلّا قليلا» وقال ﷺ: «لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» صححه الترمذي.

وذلك لعدم إيمانهم بالله تعالى وعدم حبهم له كما أخبر عنهم بأنهم مذبذبون بين الكفر والإيمان والمؤمنين والكافرين فلا إلى الإيمان والمؤمنين يسكنون ، ولا إلى الكفر والمنافقين يسكنون فهم في تردد وحسرة دائمون، وهذه حال من يضله الله فإن من يضلل الله لايوجد لهدايته سبيل.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان صفات المنافقين.[1] ٢ ـ قبح الرياء وذم المرائين.

٣ ـ ذم ترك الذكر والتقليل منه لأمر الله تعالى بالإكثار منه في قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾.

٤ ـ ذم الحيرة والتردد في الأمور كلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

شرح الكلمات :

سلطانا مبينا : حجة واضحة لتعذيبكم.

(١) في صحيح مسلم وصف لحال المنافقين في تذبذبهم وحيرتهم إذ قال ﷺ: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة ـ المترددة بين قطيعين من الغنم ـ بين الغنمين تعير إلى هذه مرّة وإلى هذه أخرى.

الدرك الأسفل : الدرك : كالطابق، والدركة كالدرجة.
وأصلحــوا : ما كانوا قد أفسدوه من العقائد والأعمال.
واعتصــموا بالله : تمسكوا بدينه وتوكلوا عليه.
وأخلصوا دينهم لله : تخلوا عن النفاق والشرك.

معنى الآيات :

مازال السياق في إرشاد الله تعالى المؤمنين إلى مايعزهم ويكملهم ويسعدهم ففي هذه الآية (١٤٤) ينـاديهم تعالى بعنوان الإيمان وهو الروح الذي به الحياة وينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ ومعنى اتخاذهم أولياء موادتهم ومناصرتهم والثقة فيهم والركون إليهم والتعاون معهم، ولما كان الأمر ذا خطورة كاملة عليهم هددهم تعالى بقوله : ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانـا مبينـا[1] ﴾ فيتخـلى عنكم ويسلط عليكم أعداءه الكـافرين فيستأصلوكم، أو يقهروكم ويستذلوكم ويتحكموا فيكم. ثم حذرهم من النفاق أن يتسرب إلى قلوبهم فأسمعهم حكمه العادل في المنافقين الذين هم رؤوس الفتنة بينهم فقال: ﴿ إن المنـافقـين في الدرك[2] الأسفل من النار﴾، فأسفل طبقة في جهنم هي مأوى المنافقين[3] يوم القيامة، ولن يوجد لهم ولي ولا نصير أبداً ثم رحمة بعباده تبارك وتعالى يفتح باب التوبة للمنـافقـين على مصراعيه ويقول لهم ﴿إلا الذين تابوا﴾ إلى ربهم فآمنوا به وبرسوله حق الإيمان ﴿وأصلحـوا﴾ أعـمالهم ﴿واعتصـموا بالله﴾ ونفضوا أيديهم من أيدي الكافرين، ﴿وأخلصـوا دينهم لله﴾ فلم يبقوا يراءون أحداً بأعمالهم. فأولئك الذين ارتفعوا إلى هذا المستوى من الكمال هم مع المؤمنين جزاؤهم واحد، وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً وهو كرامة الدنيا وسعادة الآخرة .

---

(١) قال القرطبي في تفسيره: ﴿سلطانا مبينا﴾ أي في تعذيبه إياكم بإقامة الحجة عليكم إذ قد نهاكم.
(٢) الدرك بالإسكان والفتح، والنار سبع دركات، يقال فيما تعالى وارتفع: درجة، وفيما سفل ونزل: دركة والدركات هي كالتالي: جهنم ثمّ لظى ثمّ الحطمة ثمّ السعير ثمّ سقر ثمّ الجحيم ثمّ الهاوية، وقد تسمى جميعها باسم الطبقة الأولى: جهنم.
(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومَنْ كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون، تصديق ذلك في كتاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ وقال في أصحاب المائدة: ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ وقال في آل فرعون: ﴿أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب﴾.

وأخيراً في الآية (١٤٧) يقرر تعالى غناه عن خلقه وتنزهه عن الرغبة في حب الإنتقام فإن عبده مهما جنى وأساء، وكفر وظلم إذا تاب وأصلح فآمن وشكر. لا يعذبه أدنى عذاب إذ لا حاجة إلى تعذيب عباده فقال عز وجل وهو يخاطب عباده ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وكان الله شاكراً عليما ﴾ لا يضيع المعروف عنده. لقد شكر لبغي[1] سقيها كلباً عطشان فغفر لها وأدخلها الجنة.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

٢ ـ إذا عصى المؤمنون ربهم فاتخذوا الكافرين أولياء سلط الله عليهم أعداءهم فساموهم الخسف.

٣ ـ التوبة تجب ماقبلها حتى إن التائب من ذنبه كمن لاذنب له ومهما كان الذنب الذي غشيه.

٤ ـ لا يعذب الله تعالى المؤمن الشاكر لا في الدنيا ولا في الآخرة فالإيمان والشكر أمان الإنسان.

---

(١) هذا مقتبس من حديث الصحيحين ونصه: روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (بينمارجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ بهذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له) والشاهد في فضل الشكر والإيمان.